

٤٣
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
روايات مصرية للجيب
دخان الدمار
WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID
المؤسسة العربية الحديثة

١ ـ الصاروخ الغامض ..

مالت الشمس للمغيب ، على أراضى (تايلاند) ، و (كوان أكامور) مستغرق فى صلواته ، داخل ذلك المعبد البوذىّ القديم ، فوق قِمّة جبل (أوبون) ، التى انتشر فوقها الظلام فى بطء ، حتى سادها تمامًا ، فنهض (كوان) يشعل بعض الشموع ، ليواصل صلواته على ضوئها ..

وفجأة .. دوّى انفجار رهيب ، ارتجّ له المعبد بأعمدته العتيقة ، وتساقطت له كل الشموع أرضًا ، وشعر (كوان) بالأرض تميد تحت قدميه ، فأسرع يغادر المعبد ، خشية أن ينهار فوق رأسه .. ولم يكد يفعل ، حتى غشى عينيه ضوء مبهر ، بدا وكأنه الشمس ، وقد أبدلت رأيها ، وعادت تشرق من جديد ، فرفع (كوان) ساعديه يخفى عينيه ، ويحميهما من ذلك الضوء المُبْهِر ، وقد ارتجفت أطرافه رعبًا واضطرابًا ، حتى تلاشى الضوء تدريجيًا ، وخفت الدَّوِىّ ، وعاد الصمت والظلام يحتويان المكان من جديد ..

وفتح (كوان) عينيه فى بطء وحذر ، ولمح على مقربة من المكان جسمًا غريبًا ، يُومض ببريق فسفورىّ هادئ ، يحيط به كهالة من النور الخافت ، فتساءل فى خوف عمَّ يكون هذا الجسم ؟ وعمَّ إذا كان من الأجدى أنْ يقترب منه ، ويتفحَّصه ، أم يعدُو مبتعدًا من أمامه ؟..

وأخيرًا غلبه فضوله ، فراح يقترب من الجسم الفسفورىّ فى حذر ، ولم يكد يملأ عينيه بصورة واضحة له ، حتى تراجع فى حِدَّة ، وقد اتَّسعت عيناه ذهولًا ، فلم يكن هذا الجسم الفسفورىّ سوى صاروخ متوسط الحجم ، يختلف بصورة واضحة عن كل الصواريخ المعروفة فى عالمنا ، إذ كانت تحيط به عدة دوائر حلزونيَّة ، دون أن تلتصق به ، وكانت هذه الدوائر هى مصدر الإشعاع الفسفورىّ ، أمَّا مقدمته ، فقد غاصت وسط الصخور ، داخل فجوة أحدثها الارتطام ، وبدت مؤخرته أشبه بأسطوانة من مادَّة عجيبة شفَّافة ، تتصارع داخلها أبخرة زرقاء ، بدت وكأنها تقاتل بحثًا عن منفذ للخروج ، فغمغم (كوان) فى تردُّد :

ـــ يا للسماء !!.. أى شىء هذا ؟. إنه يبدو كأنه قادم من الجحيم .

تزايد خوفه وتوتُّره ، عندما تبيَّن له أنَّ الدوائر الحلزونيَّة تدور حول نفسها فى بطء ، وتغوص فى الجبل ، دافعة الصاروخ معها ، فتراجع فى هَلَع ، وهو يُحدِّق فى ذلك المشهد ، حتى اختفى الصاروخ كله ، وانفصلت عنه مؤخرته الشفَّافة ، وراحت تتدحرج ، حتى استقرَّت بين قدمَىْ (كوان) ، الذى راحَ ينقِّل بصره بين السحب الكثيفة فى السماء ، والفَجْوَة التى غاب فيها الصاروخ ، وتلك الأبخرة الزرقاء داخل الجسم الشفاف عند قدميه ، وقد بدا له الأمر كله أشبه بكابوس مرعب مخيف ، وخاصَّة عندما اقترب من الفجوة ، ورأى تلك الدوائر تعتصر جسم الصاروخ ، الذى راح يتفتَّت ويتحلَّل تدريجيًّا ، حتى صار مجرَّد أتربة حمراء ، لم تلبث أن اختلطت بتراب الجبل ، وامتزجت به مع هطول الأمطار ، ليتحوَّل المزيج إلى بعض الطَّمْى اللَّزِج ، الذى أخفى الفجوة تمامًا ، وأضاع معها الفرصة فى معرفة مصدر ذلك الجسم المجهول ، ومدى ما يحويه من أسرار ..

وانحنى (كوان) يلتقط ذلك الجسم الشَّفَّاف ، الذى يكتظ بالأبخرة ، وأسرع عائدًا إلى المعبد ، حيث راح يقلِّب الجسم بين يديه ، وقد أدهشه أنه كان باردًا تمامًا ، على الرغم من الأبخرة المتصارعة داخله ..

وفى جانب الأسطوانة ، عثر (كوان) على غطاء معدنى صغير ، لم يكد يدفعه بإصبعه ، حتى دار حول نفسه ، وراحَ يدور فى سرعة متزايدة ، حتى قفز فى قوة ، وانطلقت الأبخرة الزرقاء من خلفه فى قوّة ، جعلت (كوان) يلقى الأسطوانة من يده فى ذُعر ، ويتراجع فى رُعب ، وهو يرى تلك الأبخرة الزرقاء تلتهم أعمدة المعبد ، وأرضيّته الرخاميّة ، وتماثيله ، التى ما أن تلمسها تلك الأبخرة ، حتى تتفتت وتنهار ، وكأنما يحمل لها هذا البخار أسباب الفناء ..

وراحت الأعمدة تنهار ، وخشى (كوان) أن يقضى نحبه أسفلها ، فأسرع يختطف الغطاء المعدنىّ ، ويعيده إلى موضعه فى الأسطوانة .. ولم يكد يفعل ، حتى أحكم الغطاء إغلاق نفسه ، وعادت الأبخرة تتصارع فى الداخل ، و (كوان) يعدو خارج المكان ، حاملًا الأسطوانة الشفّافة ..

ووقف (كوان) مشدوهًا ، يتطلّع إلى ذلك المعبد الأثرىّ العتيق ، وهو يتهاوَى ، ويتفتّت ، ويتحلّل ، والأرض تنشق أسفله عن فجوة كبيرة ، تغوص بقاياه داخلها ، وتمتزج فيها الأتربة بالأمطار ، ويتحوّل المزيج إلى ذلك الطّمْى اللّزج ..

وأدرك (كوان) أنها البداية ..
بداية الرُّعب ..

* * *

شعر (كوان) بإعياء شديد ، وهو يغادر عربته ذات الجياد ، أمام منزله العتيق ، وجسده يرتجف من فرط الانفعال ، وتحامل على نفسه فى صعوبة ، وهو يتطلّع إلى ابنته (تيسى) ، التى هرعت إليه بمظلة واقية ، رفعتها فوق رأسه ، وهى تهتف :

ــ لماذا تأخّرت إلى هذا الوقت يا أبى ؟ .. لقد أقلقنى ذلك فى شدة ، وخاصة مع ذلك الطقس الرّدىء .

لم يجب (كوان) ؛ لأنه لم يكن يملك القدرة على أن يفعل ، مما فجّر قلق ابنته ، فهتفت وهى تتطلّع إليه :

ــ أأصابك مكروه يا أبى ؟

غمغم فى وهن ، وهو يتّدلف إلى المنزل :

ــ لا يابنتى .. لا شىء .

هتف فى قلق :

ــ ولكن هيئتك توحى بالعكس .. هل أدّيْتَ صلاتك بالمعبد ؟

غمغم فى صوت مرتجف ، وهو يخلع حذاءه ، ويلقى جسده فوق فراشه :

ــ نعم .. نعم ..

هتفت ، وقد أزعجتها ارتجافه كثيرًا :

ــ لقد أصابتك نزلة برد بالتأكيد .

ثم صاحت تنادى خادمهما الصينى (سونج) ، الذى هُرِع إليها إثر النداء ، فصاحت به :

ــ أعِدَّ شرابًا ساخنًا لأبى ، وأرسل (تاو) الصغير إلى جارنا الطبيب ، واطلب منه الحضور فى سرعة .

سألها (سونج) ، وهو يتطلَّع فى قلق إلى سيِّده ، الذى راح يتنفَّس فى صُعوبة :

ــ هل السيِّد (كوان) مريض ؟

هتفت به فى اضطراب :

ــ إنه كذلك .. أسرع بالله عليك .

أسرع الخادم يلبِّى الأوامر ، فى حين راحت (تيسى) تنزع عن والدها ثيابه المبتلَّة ، وتُدثِّره بأغطية سميكة ، فى محاولة للسيطرة على تلك الارتجافة القويَّة فى أطرافه .. وبينما كانت تفعل ، لاحت منها التفاتة إلى وجهه ، فتجمَّدت الدماء فى عروقها ، واحتبست فى حلقها صرخة فزع ، وهى تهتف :

ــ أبى !! .. مستحيل !! وجهك يا أبى !! وجهك ! ..

مدَّ الأب أصابعه المرتجفة ، والتقط مرآة مجاورة لفراشه ، ولم يكد يتطلَّع فيها إلى وجهه ، حتى انتقل رُعبها إليه ..

لقد كانت بشرته زرقاء ..

زرقاء تمامًا ..

* * *



٢ ـ الخرتيت الأبيض ..

زاخ جسد (كوان) يرتجف فى شدّة ، وهو يغمض عينيه ، متحاشيًا رؤية وجهه فى المرآة ، وهاتفًا :

ـ لقد أصابتنى الكارثة .. نلت نصيبى منها .

هتفت ابنته ، والفزع يُطلّ من عينيها :

ـ أيّة كارثة يا أبى ؟.. أخبرنى ..

أجابها فى صوت خنقه اللُّهاث :

ـ اسمعينى جيّدًا يا (تيسى) ، ولا تقاطعينى .. لقد سَمَّم ذلك الدُّخان الأزرق جسدى ، ولن تقوم لى قائمة بعد الآن .. أُنظرى .. تلك الأسطوانة الشفافة هناك ، هى جزء من صاروخ غامض ، لا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) ، من أين جاء ، ولماذا .. ولقد رأيته يتحلّل أمام عينىَّ ، بعد دقائق من سقوطه عند معبد الإله (بوذا) ، الذى انهار بدوْرِه ، ولم تبقَ منه سوى ذرّات من تراب أحمر .. وهذه الأُسطوانة تحوى غازًا لا مثيل له على أرضنا ، وهو رهيب مخيف ، يفُوق كل ما عهدناه

من أسلحة الفتك والدمار ، حتى القنابل الذرّية .. ولو أن تلك الكميّة الضئيلة ، التى أفلتت من الأسطوانة ، كانت كافية لإبادة معبد كامل فى ثوان معدودة ، ولأن تفعل بأبيك ما فعلت ، فلابدّ أن تعملى على إخفاء تلك الأُسطوانة بأيّة وسيلة ، حتى تجدى طريقة لتدميرها بمحتوياتها ، دون أن تضرّ شيئًا ، فلو وقعت فى يد أى شخص ، أو أيّة جهة ، مهما بدا حسن نواياها ، فسيعنى هذا كارثة محققة فى العالم أجمع .. إنك .. إنك ......

اختنقت الكلمات فى حلقه ، وتصلّب جسده فى قوّة ، فصرخت (تيسى) فى هَلَع ، وهى تتراجع فى رُعب وذهول :

ـ أبى !!.. بالرحمة (بوذا) !.. أبى !!

كان ما تراه يفُوق الطبيعة بحق ، فقد زاخَ جلد وجه أبيها يتشقّق ، ويتفتّت كلوح زجاجىّ ينهار ، وامتدّ هذا إلى جسده فى سرعة ، لينهار بناء جسده كله فى لحظات ، فلا يتبقى منه سوى هيكل عظمى ..

وأطلقت (تيسى) صرخات الألم والهلع والرُّعب والمرارة ، وخلفها وقف رجل يحدّق فيما حدث فى ذُهول ..

وكان ذلك خادمها الصّينى ..

* * *



كان ما تراه يفُوق الطبيعة بحق ، فقد رَاحَ جلد وجه أبيها يتشقّق ، ويتفتّت كلوح زجاجيّ ينهار ، وامتدّ هذا إلى جسده ..

توقفت إحدى عربات النقل الصغيرة ، أمام ڤيلاّ أنيقة ، فى الضاحية الشمالية لـ (بانكوك) ، عاصمة (تايلاند) ، وهبط سائقها ليدق الباب الأماميّ للڤيلاّ ، فخرج إليه خادم يقول :

ــ هل من خدمة يمكننى تقديمها يا سيِّدى ؟

سأله السائق :

ــ أهى ڤيلاّ السيِّد (رامو) ؟

أجابه الخادم فى احترام :

ــ إنها هى يا سيِّدى .

بدا من خلف الخادم ، فى هذه اللحظة ، رجل متوسط الطول ، أشيب ، نحيل ، فى أواخر الخمسينات من عمره ، يسأل الخادم فى اهتمام :

ــ إلى من تتحدّث يا (سوينج) ؟

أجابه الخادم :

ــ هذا الرجل يطلبك يا سيِّدى .

اقترب الرجل من السائق ، وتفرَّس فى ملامحه لحظات ، قبل أن يسأله :

ــ ما الذى يمكننى تقديمه لك أيُّها السيِّد ؟

أجابه السائق :

ــ لدىَّ صندوق خشبىّ متوسط الحجم ، كلَّفونى تسليمه للسيِّد (رامو) .

سأله (رامو) فى حَيْرَة :

ــ من أرسله ؟

ألقى السائق نظرة على أوراق التسليم ، وأجاب :

ــ الآنسة (تيسى) .. كما تقول الأوراق .

تضاعفت دهشة (رامو) ، وغمغم :

ــ (تيسى) ؟!.. ابنة أخى .. تُرى ما الذى أرسلته إلىَّ ؟

ثم لاح له تململ السائق فى وقفته ، فاستطرد فى سرعة :

ــ حسنًا .. سأتسلَّمه منك .. أنا (رامو) .

ووقَّع أوراق التسلُّم ، فى حين رَاحَ العاملان المصاحبان للسائق ينقلان الصندوق إلى الفيلَّا .. وهناك طلب (رامو) من خادمه فتح الصندوق ، وتضاعفت حَيْرَته ، وهو يتطلَّع إلى ذلك التمثال العاجىّ الأبيض ، الذى يرقد داخله ، والذى يمثل خرتيتًا أبيض اللون ، لا يزيد طوله على تسعين سنتيمترًا ، وإلى جواره رسالة يحيط بها شريط أحمر ، التقطها (رامو) فى اهتمام ، وفضَّها ، ليقرأ فى لهفة :

ــ عمِّى العزيز (رامو) ..

تُوُفِّىَ والدى أمس ، إثر حادث بشع ، لا يسعنى شرح تفاصيله الآن .. وكل ما يمكننى قوله هو أن هذا التمثال ، الذى كان يومًا ضمن مقتنيات أبى الثمينة ، يحوى الآن ذلك السِّرّ ، الذى تسبَّب فى مصرع أبى .. ففى داخل التمثال ، أخفيت جزءًا من صاروخ غامض ، سقط عند المعبد البوذىّ ، على قمة جبل (أوبون) ، ولست أدرى كيف جاء ، ولا أين ذهب ، ولكن هذا الجزء منه داخل التمثال ، يحوى غازًا أزرق اللون ، حذَّرنى أبى منه شديد الحذر ، وطالبنى بالعمل على ألَّا تمسَّه يد بشر .. ولمَّا كنت أجهل كيف ، ولمَّا كنت لا أثق ــ فى الدنيا ــ فى سواك ، وأعلم أنك تملك قبوًا سريًّا فى فيلَّتك ، تخفى فيه مقتنياتك الثمينة ، فقد رأيت أنك أفضل من يحتفظ بالسِّرّ ، حتى نتشاور معًا فى كيفيَّة التخلص منه ، عندما آتى لزيارتك بعد يومين ، وإلى ذلك الحين لا تخبر أى كائن مَنْ كان بأمر الرسالة ، واحرقها بعد أن تقرأها .. أرجوك ..

ابنة أخيك

(تيسى)

أطبق (رامو) يده على الرسالة فى حزن ، وقد آلمته وفاة أخيه المفاجئة ، وبقى صامتًا لحظات ، ثم التفت إلى خادمه ، وأمره بمغادرة الحجرة ، ثم أشعل النار فى الرسالة ، ودفع قرن الخرتيت إلى أعلى ، فظهرت فى ظهره فجوة ، تحوى تلك الأسطوانة الشفافة ، التى تتصارع داخلها أبخرة الموت الزرقاء ..

وعلى الرغم من غرابة المشهد ، فلم يشعر (رامو) تجاه تلك الأسطوانة ، سوى بالبغض والكراهية ، وتمنَّى لو أنه يجد وسيلة لتدمير ذلك الشىء ، الذى جاء من المجهول ، حاملًا نذير الشرّ إلى كوكبه ؛ إلا أنه ، وبناءً على رغبة أخيه ، عاد يُغلق تلك الفجوة ، ويحمل التمثال فى حرص ، تمهيدًا لنقله إلى قبوه السرّى ..

وفجأة.. تناهى إلى مسامعه صوت مخيف ، يجمع ما بين الهرج والمرج ، وطلقات رصاص مكتومة ، وارتطام جسم بالأرض .. وقبل أن يدرك ما يعنيه ذلك ، اقتحم عدد من الملثمين الحجرة ، وانطلقت رصاصات أسلحتهم ، المزوَّدة بكواتم للصوت ، تحيل جسده إلى مصفاة دموية مخيفة ..

وسقط (رامو) جثة هامدة ..

وهتف أحد الملثمين ، وهو يحكم رباط لثامه :

ـــ هيًا يا رجال .. سننقل ذلك التمثال إلى سيارتنا .

وأخفى لثامه ابتسامته الظافرة ، وهو يستطرد :

ـــ لقد ربحنا .

* * *



٣ ــ مهمة فى (بانكوك) ..

جلس المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، يتابع فى شغف إحدى مباريات منتخب (مصر) لكرة القدم ، ضد منتخب (ألمانيا الغربية) ، فى مدرج الدرجة الأولى ، بإستاد القاهرة الرياضى ، وقد ترك العِنان لحماسه وانفعالاته ، لما تنطوى عليه المباراة من طابع قومىّ ، ولما أبداه لاعبونا من أداء متميِّز متفوِّق ..

وفى الدقيقة الخامسة والثلاثين ، من الشوط الأوَّل ، نجح أحد لاعبى الفريق المصرى فى الانفراد بمرمى الفريق الألمانى ، بعد أن راوغ ثلاثة من لاعبى الفريق الأخير فى براعة ، وأطلق الكرة بقدمه كالصاروخ ، ليحرز هدفًا رائعًا ، جعل (ممدوح) يقفز من مكانه ، وسط هتاف الآلاف ، الذين اكتظ بهم الملعب ، وانتهى الشوط الأوَّل بهدف للاشىء ، لصالح الفريق المصرىّ ..

وفى الاستراحة بين الشوطين ، انهمك (ممدوح) فى مناقشة جار له ، حول الأداء الجيِّد للفريق المصرىّ ، دون أن ينتبه إلى

شخص راحَ يبحث عنه بمنظاره المقرِّب من بعيد ، ولم يكد يعثر عليه ، حتى راحَ يشق طريقه إليه فى صعوبة ، وسط جمهرة المتفرجين .. ولم يكد الشوط الثانى يبدأ ، حتى وضع هذا الشخص ، الذى لم يكن سوى الرائد (رفعت) ، يده على كتف (ممدوح) ، قائلًا :

ــ لقد أرهقنى البحث عنك هذه المرَّة .

التفت إليه (ممدوح) ، وهتف فى دهشة :

ــ (رفعت) ؟!.. مرحبًا بك .. أحضرت لمشاهدة المباراة ؟

هزَّ (رفعت) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ بل لأصطحبك إلى الإدارة على وجه السرعة .

قال (ممدوح) فى اهتمام :

ــ أهو أمر بالغ الخطورة إلى هذا الحدّ ؟

رفعت :

ــ يبدو ذلك .. فلقد قطع اللواء (مراد) إجازته ، وعاد إلى مكتبه ، طالبًا إحضارك على الفور .

ممدوح :

ــ هيَّا بنا إذن ..

ولم تمض لحظات ، حتى كانت سيارة (ممدوح) تنطلق بهما إلى المكتب رقم (١٩) ، وهناك أدّى (ممدوح) التحيّة العسكريّة أمام اللواء (مراد) ، الذى استحوذت بعض الأوراق أمامه على تفكيره تمامًا ، وهو يقول :

— المقدم (ممدوح) فى خدمتك يا سيّدى .

رفع اللواء (مراد) بصره إليه ، وقال فى سرعة ، وكأنما كان يترقّب قدومه فى لهفة :

— اجلس يا (ممدوح) ، لقد تلقيت أمس تقريرًا بالغ الخطورة ، من سفارتنا بـ(بانكوك) .. فلقد توجّه أحد رجالنا إلى سفارتنا هناك ، وطلب الاجتماع بالسفير سرًا ، وأخبره أن عملاء المخابرات (الأسترتانية) يسعون للحصول على سلاح خطير ، ذى نتائج مدمِّرة ، وأنهم يساومون أحد زعماء العصابات الخطرين فى (تايلاند) ، لشراء ذلك السلاح ، الذى استحوذ هو عليه بوسيلة ما .. وأنت تعلم أن (الأسترتانيين) بارعون فى المساومة ، وإصرارهم على الحصول على ذلك السلاح ، يَعْنى أنهم يدركون أهميته وخطورته ، وأنهم سيقاتلون للحصول عليه بأى ثمن .. وتعلم أيضًا أن أىّ تفوّق حربىّ لـ (الأسترتانيين) ، يَعْنِى تهديد أمن وطننا وسلامته ، وهذا

يَعْنى أنه من الضرورىّ أن نمنعهم من الحصول على ذلك السلاح ، بأى ثمن .

ممدوح :

— وما نوعية هذا السلاح بالضبط ؟

اللواء (مراد) :

— لم نجمع معلومات كافية عنه ، سوى أنه نوع من الدُّخان الأزرق ، ذِى النتائج المدمِّرة .

ممدوح :

— وكيف حصل رجالنا على هذه المعلومات ؟.

اللواء (مراد) :

— إنه أحد أعضاء جمعية الصداقة المصرية التايلاندية ، وهو يجمع المعلومات من مصادره الخاصّة لحسابنا ، فى مقابل بعض المساعدات المالية منا ، ويبدو أن أحد مصادره عضو فى تلك العصابة الرهيبة ، التى حصلت على السلاح ، والتى يتزعّمها رجل شديد الخطورة والدّهاء ، يُدعى (آموس) ، ولقد أخبره عضو العصابة هذا ، فى جلسة شراب ، أن العصابة قد اقتحمت منزل رجل يُدعى (رامو) ، وقتلته مع خدمه ، واستولت على ذلك السلاح الرهيب ، ونقلته إلى منزل الزعيم (آموس) .

ممدوح :

ــ وما علاقة (الأسترتانيين) بذلك ؟

اللواء (مراد) :

ــ إن (آموس) يُجرى اتصالاته بهم ، عن طريق سفارتهم فى (بانكوك) ، بحكم وجود صلات قديمة بينه وبينهم .

ممدوح :

ــ مهمتى إذن هى منع (الأسترتانيين) من وضع أيديهم على هذا السلاح الخطير .

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. ستسافر إلى (تايلاند) اليوم ، وتحصل على ذلك السلاح بأيَّة وسيلة ، أو تعمل على تدميره تمامًا .. فلقد طرحنا فكرة مساومة (آموس) ، إلا أننا وجدنا هذا كفيلًا بإثارة (الأسترتانيين) ، ودفعهم للإسراع بإتمام الصفقة بأى ثمن ، ثم إننا لا نميل إلى أسلوب المساومات هذا .

ممدوح :

ــ هل يحتفظ (آموس) بذلك السلاح فى مكان معروف؟

اللواء (مراد) :

ــ نعم .. إنه داخل تمثال لخرتيت أبيض ، يحتفظ به

(آموس) داخل منزله .. وها هى ذى تذكرة الطائرة ، وجواز سفرك إلى (بانكوك) الليلة .

انتصب (ممدوح) ، قائلًا فى حزم :

ــ أنا مستعد أتم الاستعداد يا سيِّدى

واستدار مزمعًا الانصراف ، إلَّا أن اللواء (مراد) ، استوقفه ، قائلًا :

ــ لا تنس المرور على قسم التجهيزات الفنية قبيل سفرك ، حيث سيتم تزويدك بالمعدات اللازمة لمهمَّتك .. فلقد أمرت بإعداد حُلَّة خاصَّة لك ، مضادَّة للرصاص والإشعاعات والنيران ، ومختلف الأسلحة الأخرى ، فقد تعوزك فى مهمتك هذه ، على الرغم من جهلنا بقوَّة وطبيعة هذا السلاح المدمِّر ، الذى قد تجد نفسك مضطرًّا لمواجهته .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا سيِّدى .. سأستعيد ذلك السلاح ، أو ....

اكتست ملامحه وكلماته بالصَّرامة ، وهو يستطرد :

ــ أو أهلك معه ..

* * *

٤ — تجربة مُذْهِلة ..

وقف (آموس) فى شرفة فيلّته الأنيقة ، التى تطلّ على إحدى بحيرات (تايلاند) ، يراقب صديقته الحسناء ، وهى تسبح فى رشاقة ، عندما قطع أحد رجاله تأمُّله ، قائلًا :

— معذرة أيها الزعيم .. ذلك الصينى (سوينج) يلحّ فى طلب مقابلتك .

نفث (آموس) دُخان سيجاره فى ضيق ، وهو يقول :

— ماذا يريد هذا المعتوه ؟.. ألم يمنحه (شوان) العشرة آلاف دولار ؟.

أجابه الرجل :

— بلَى أيها الزعيم ، ولكن يبدو أنه غير قانع بالمبلغ .

قال (آموس) فى سخرية :

— غير قانع ؟!.. كان ينبغى أن يسعده أننى قد أبقيت عليه حتى الآن .

اقتحم (سوينج) الشُرفة فى تلك اللحظة ، متخلّصًا من اثنين من رجال (آموس) ، وراح يهتف فى استعطاف وعصبية :

— أيا (آموس) العظيم .. ليست تلك هى المعاملة التى أستحقها منك ، بعد أنْ منحتك أخطر سلاح فى الكون .. إن عشرة آلاف دولار لا تكفى ثمنًا له أيها الزعيم .

ابتسم (آموس) ابتسامة باردة ، وقال وهو يشير إلى رجاله بالابتعاد :

— لست أنكر لُعبة الجاسوس ، التى لعبتها مع سيّدك السابق (كوان) يا (سوينج) .. ولكن لا تنس أننى ورجالى قد تحملنا الخطر كله ، للحصول على السلاح ، ثم إن العشرة الآلاف دولار ليست بالثمن البخس .

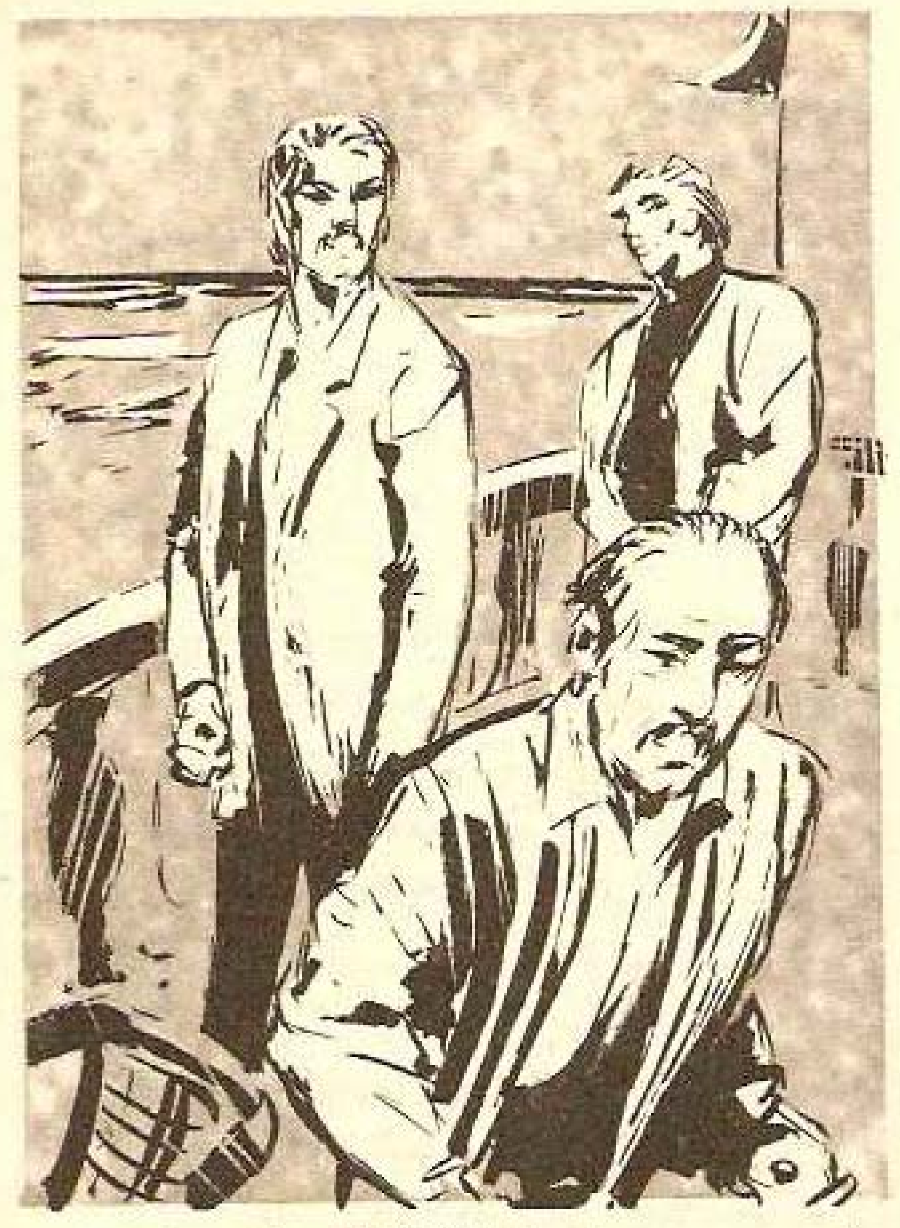
هتف (سوينج) :

— ولكنك وعدتنى بنصف مليون دولار .

لم تفارق الابتسامة الباردة شفتى (آموس) ، وهو يقول :

— ولم أعدك بالإبقاء على حياتك لتنفقها يا عزيزى (سوينج) .. والآن ماذا تفضّل ؟.. نصف مليون دولار وتابوتًا ، أم عشرة آلاف وحياة .

شحب وجه (سوينج) ، وتراجع فى هَلَع ، فاستطرد (آموس) فى صرامة :



أسرع (سوينج) يغادر المنزل مُهَرْولًا ، كمن يُلاحقه الشيطان ، فقد كان يدرك جيِّدًا أن (آموس) لا يهزل مطلقًا ..

ـــ والآن غادر منزلى بأقصى سرعة ، ولا تدعْنى أرى وجهك مرَّة أخرى ، وإلَّا ألقيتك لكلابى المتوحِّشة .. هيَّا .

أسرع (سوينج) يغادر المنزل مُهَرْولًا ، كمن يُلاحقه الشيطان ، فقد كان يدرك جيِّدًا أن (آموس) لا يهزل مطلقًا ، فى أمر إلقائه للكلاب المتوحِّشة ، ولكنه غمغم فى حنق ، وهو يبتعد عن الڤيلَّا :

ـــ لن تهنأ بغنيمتك يا (آموس) .. سأعرف كيف أنتقم منك .

وفى اللحظة ذاتها ، كان (آموس) يقول لأحد معاونيه :

ـــ أرسل أحد رجالنا للتخلُّص من ذلك الوغد ، ولكن بعيدًا عن هنا ، واجعله يعيد تلك الآلاف العشرة التى حصل عليها أوَّلًا ، فلم يعد يستحقها .

ذلف أحد أعوانه إلى الشُّرفة ، فى تلك اللحظة ، وقال :

ـــ مستر (أبراهام) يرغب فى رؤيتك يا سيِّدى .

لوَّح (آموس) بكفِّه ، قائلًا :

ـــ دعْه يأتى .

ثم التفت إلى الرجل الأوَّل ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ نفِّذ ما أمرتك به .

أسرع الرجل يغادر الشرفة ، فى نفس اللحظة التى دخل فيها إليها (أبراهام) ، بقامته القصيرة ، وجهه النحيل ، الذى يشع بالخبث والدهاء ، وشعره الأشيب القصير ، وقال له (آموس) ، وهو يصافحه :

ــ مرحبًا بصديقنا الأسترتانى .. أتعشم ألَّا تكون قد جئتنى خاوىَ الوفاض .

قال (أبراهام) ، وهو يتصنع الأسف :

ــ كم يؤسفنى هذا ياعزيزى (آموس) .. ولكن حكومتى ترى أن مبلغ المائة مليون دولار ، الذى طلبته ، باهظ للغاية .. والمسئولون فى (أسترتان) يأبوْن دفع كل هذا المبلغ ، مقابل سلاح يجهلون كُنْهه .

ابتسم (آموس) ، قائلًا :

ــ ليس المبلغ باهظًا يا سيِّد (أبراهام) ، فهو سيمنحكم سلاحًا يكفى لإبادة مدينة كاملة من الوجود ، دون أن يُبقى منها أدنى أثر ، واستخدامه لايحتاج إلَّا لنزع غطاء صغير ، ودفع بعض الدُّخان الأزرق خارج أسطوانة شفَّافة أنيقة .. إنها وسيلة رخيصة للغاية كما ترى .

وصمت لحظة، ثم أضاف وهو يراقب انفعالات (أبراهام):

ــ ويمكنك أن تشاهد تجربة صغيرة لو أردت .

هتف (أبراهام) فى لهفة :

ــ إننى أتشوَّق لذلك .

نهض (آموس) ، قائلًا :

ــ تعالَ إذن .

اصطحبه إلى سيارته ، التى انطلقت بهما عَبْرَ (بانكوك) ، حتى بلغت منطقة مُقْفِرة ، بعيدة عن العمران .. فغادر أحد رجال (آموس) السيارة ، واحتمى بجدار من الرصاص ، موجهًا ثقب قاعدة الأسطوانة نحو فتحة خاصَّة فى الجدار ، وقال (آموس) فى زهوٍ :

ــ إننى أملك المنطقة ، لقد ابتعتها منذ عدة أشهر ، وأنوى هدم تلك الأكواخ القديمة ، التى تراها هناك ، وأقيم بدلًا منها بنايات شاهقة أنيقة .. وستشاهد الآن أسرع وسائل الهدم ، وأقلها تكلفة ..

وأشار من داخل السيارة إلى معاونه ، فدفع كمية ضئيلة من الدُّخان الأزرق ، عَبْرَ فتحة صغيرة فى الجدار الرصاصى ، تجاه الأكواخ القديمة ، ثم أغلق الثقب فى سرعة ، وأسرع يتخذ مكانه داخل السيارة ، فى حين اتجهت سحابة الدُّخان الأزرق

نحو الأكواخ، التى تصدعت جدرانها على الفور ، وراحت تتهاوى ، وتتفتت وتذوب فى سرعة مخيفة ، وتتحول إلى أتربة حمراء ، تبتلعها فجوة كبيرة ، و (أبراهام) يتطلع إلى هذا مشدوهًا ، مرتجفًا . فسأله (آموس) فى استعلاء ، وهو يتطلع إلى ملامحه المبهورة :

ــ ما رأيك فى تلك النتائج ؟

هتف (أبراهام) :

ــ مذهلة .

ابتسم (آمون) ، وهو يقول فى ظفر :

ــ سيكون عليك أن تنقل ما رأيت إلى مسئولى دولتك ، ليقتنعوا بأن المبلغ ليس باهظًا ، وليعلموا أننى لن أنتظر جوابهم لأكثر من يومين ، وبعدها سيكون هناك من يدفع أضعاف هذا المبلغ ثمنًا للسلاح .. فلم يدفعنى لعرض الأمر عليكم فى البداية، سوى علاقتنا القديمة، ولكن العمل هو العمل .. أليس كذلك؟

تمتم (أبراهام) فى انفعال :

ــ اطمئن يا صديقى .. اطمئن ، فبعد ما رأيته ، لم يعد يساورنى أدنى شكٍّ فى أنهم هناك سيوافقون .. سيوافقون على الفور ..

وتألقت عيناه ، وهو يستطرد :

ــ إنه سلاح رهيب .. رهيب حقًّا ..

* * *

هبطت طائرة (ممدوح) فى (بانكوك) ، فى ساعة متأخرة من الليل ، وأنهى إجراءات الجمارك فى سرعة .. ولم يكد يغادر المنطقة الجمركية ، حتى استوقفه شخص ، وقال :

ــ أتحمل أيّة تذكارات من بلاد الفراعنة ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ــ بل جئت للحصول على بعضها .

كانت هذه هى كلمة السرّ المتفق عليها ، فابتسم الرجل ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بك فى (تايلاند) يا سيادة المقدم (ممدوح) .

صافحه (ممدوح) ، قائلًا :

ــ أظنك (توشينام) .. أليس كذلك ؟

تمتم الرجل ، وهو يشدُّ على يده فى حرارة :

ــ فى خدمتك .

وقاده إلى الخارج ، حيث تقف سيارته ، التى انطلق بها قائلًا :

ــ سنبدأ المهمة صباح الغد ، فلا ريب أنك تحتاج إلى بعض الرّاحة ، بعد تلك الرّحلة الطويلة .

أجابه (ممدوح) فى حزم :

ــ بل سنبدأ على الفور ، فنحن والأسترتانيون فى سباق مع الزمن يا رجل .. والويل كل الويل لمن يخسر السّباق .. والمعركة ..

* * *



٥ ــ الفخّ المُحْكَم ..

كان القمر يتوارَى خلف السحب الكثيفة ، عندما أوقف (توشينام) محرّك قاربه البخارى ، على بعد مائة متر من شُرفة فيلّا (آموس) ، واستدار يثبت أسطوانة الأكسوجين على ظهر (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ خُذ الحذر ، فالأمر ليس سهلًا .. إن أعوان (آموس) ينتشرون فى كل مكان كالتماسيح ، وهم لا يتردّدون فى إطلاق النار على أى ضفدع يقترب من الفيلّا .

ضحك (ممدوح) ، وقال :

ــ اطمئن .. لست ضفدعًا فحسب .. إننى ضفدع بشرىّ .

ثم ألقى نفسه فى الماء ، وراح يسبح نحو منزل (آموس) ، الذى رَاحَ كشّاف ضوئى قوىّ فوقه يمسح سطح البحيرة فى إيقاع منتظم ، حتى بلغ (ممدوح) شرفة الفيلّا ، فالتصق بقاعدتها ، وهو يتابع حركة الكشّاف ، وينزع عنه ثياب الغوص ، ويثبتها

بشريط لاصق قوىّ فى قاعدة الشُرفة ، حتى ابتعدت بقعة الضوء عنه ، فقفز يتعلق بأعمدة الشرفة الداخلية ، تأهبًا للقفز داخلها ..

وفجأة .. لمح كلبًا ضخمًا شرسًا ، يهبّ من رقدته ، ويزمجر فى وحشية ، وهو يتجه إليه ، من داخل الشُرفة . فغمغم وقطرات الماء تتساقط منه :

ـــ ما رأيك فى أن يتمنّى كل منا للآخر ليلة طيبة ، وندع الأمور تمر فى سلام ؟

ولكن يبدو أن العبارة لم ترُق للكلب ، فقد زمجر مرّة أخرى ، وبرزت أنيابه الحادّة ، ثم وثب نحو (ممدوح) ..

وفى سرعة البرق ، التقط (ممدوح) تلك المنضدة الخشبيّة ، التى تتوسط الشُرفة ، وضرب بها الكلب ضربة قويّة ، بحيث ألقته من الشُرفة إلى البحيرة ، ولكن تلك الضجة جذبت انتباه الآخرين ، فقد سمع (ممدوح) صوتًا يهتف من الداخل :

ـــ (ساندو) .. يبدو أن كلبك قد رأى شيئًا فى الشُرفة .. أحضر مسدسك واتبعنى ..

لم ينتظر (ممدوح) حضور الرجال ، بل قفز يتسلّق

جدران الشُرفة فى خفّة الفهد ومهارته ، وجاهد لإخفاء نفسه وسط أوراق النباتات المتسلّقة على الجدران .. وكاد يفقد توازنه ، لولا أن تعلّق بحافة نافذة قريبة ، وحبس أنفاسه ، وهو يسمع صوت رجل يقول :

ـــ إننى واثق من سماع زمجرة الكلب هنا .

هتف آخر :

ـــ ولكن أين الكلب ؟

هتف ثالث فى دهشة :

ـــ هناك .. إنه يسبح فى البحيرة .

غمغم الأوّل فى توتّر :

ـــ من دفعه إلى هناك ؟

أجابه الثانى :

ـــ ربما قفز هو ، فأنت تعرف كم يُغرم (سوكى) بالسباحة .

غمغم الثالث :

ـــ أو أن شيئًا قد أفزعه .

انتظر (ممدوح) حتى انتهى الجدل ، وانصرف الرجال من الشُرفة ، فتابع تسلّقه ، حتى بلغ السطح ، حيث يجلس ذلك


ولم يكد (ممدوح) يقفز إلى السطح ، حتى التفت إليه الرجل ، واتسعت عيناه فى دهشة ، ثم أسرع يُشْهر بندقيته ..

الرجل ، الذى يدير الكشّاف الضوئى الكبير ، حاملًا بندقيته الآلية .. ولم يكد (ممدوح) يقفز إلى السطح ، حتى التفت إليه الرجل ، واتسعت عيناه فى دهشة ، ثم أسرع يُشْهر بندقيته ، ولكن (ممدوح) عاجله بلكمة ساحقة ، أسقطته فوق الكشّاف ، وأجبرته على ترك بندقيته ، فتناولها (ممدوح) فى سرعة ، وانطلق نحو قبّة زجاجية تتوسط السطح ، وتطلّ على غرفة صغيرة ، بدت وكأنها مخصصة لمن يتولّى حراسة السطح ، فرفعها فى هدوء ، وهبط ذلك السُّلم الخشبيّ إلى الحجرة الصغيرة ، وسمع زميل حارس السطح يقول فى تراخ :

ــ لماذا عُدت يا (دان) ؟.. إن موعد (نوبتى) لم يحن بعد ، ولم ....

تجمّدت أطرافه ، واحتبست عبارته فى حلقه ، وهو يحدّق فى وجه (ممدوح) ، وفى فُوّهة بندقيته المصوّبة إلى رأسه ، وغمغم فى صوت متحشرج :

ــ من أنت ؟

أجابه (ممدوح) فى سخرية :

ــ عابر سبيل ، يرغب فى زيارة قصيرة للفيلّا ، دون أن يقلق أحدًا .

حدّق الرجل فى فوّهة البندقية الآلية ، وهو يتمتم فى هَلَع :

ـــ وماذا تريد منّى ؟

ممدوح :

ـــ أن تستدير نحو الجدار ، رافعًا يديك إلى أعلى .

أطاع الرجل فى رُعب ، ولم يكد يستدير ، حتى هَوَى (ممدوح) على رأسه بضربة قويّة من مؤخرة البندقية ، ألقته فاقد الوعي ، ثم اتجه هو إلى باب الحجرة ، وفتحه لينتقل إلى داخل الڤيلّا ، حيث سار عَبْرَ ممرّ طويل ، قاده فى النهاية إلى رَدْهَة واسعة ، تطلّ على حديقة صغيرة ، ورأى فى نهايتها جدارًا معدنيًا يهبط فى رفق ، ليقطع عليه الطريق ..

واندفع (ممدوح) نحو الجدار ، محاولًا عبوره ، قبل أن ينطبق على الأرض ، ثم لم يلبث أن تسمّر مكانه ، فقد كان هناك جدار آخر يهبط من خلفه ، ليسجنه داخل الرّدهة ..

وفجأة .. انقضّ عليه أحد رجال (آموس) ، وأحاط عنقه بسلسلة معدنية ، وراح يخنقه فى قوّة ، حتى أنه ألقى بندقيته الآلية ، وحاول أن يجذب السلسلة بكلتا يديه ، ولكن الرجل كان يشدّ السلسلة فى عنف شديد ، لا يسمح لـ (ممدوح) حتى بتمرير أصابعه بينها وبين عنقه ..

وفى نفس اللحظة ، برز رجل آخر من خلف إحدى الستائر ، واقترب من (ممدوح) ، وهو يبتسم ابتسامة قاسية ، قائلًا :

ـــ أتيت لحتفك يا رجل .. لن يسمح (آموس) برفع هذه الجدران ، إلّا بعد أن نحمل جثتك .

كانت نيتهما واضحة ؛ لذا فقد دفع (ممدوح) جسده إلى الخلف فى قوّة ، فألقى غريمه معه أرضًا ، وتدحرج معه إلى حيث يهبط الجدار ، الذى لم يبلغ الأرض بعد ، فارتعد الرجل ، وهو يرى الجدار هابطًا نحوه ، وخفّ ضغط قبضتيه على السلسلة ، فأسرع (ممدوح) يمرّر أصابعه بين حلقاتها ، ثم مال إلى الأمام فى عنف ، فألقى الرجل من فوق ظهره فى قوّة ، وألقى السلسلة عن عنقه ، وهو يثب ليركل الآخر بقدمه ، ثم يستعيد بندقيته الآلية ، ويصوّبها إلى الرجلين ، متراجعًا فى حذر ، حتى بلغ الجدار ، فقفز فى سرعة ، وَعَبر أسفله ، قبل أن ينطبق على الأرض بلحظة واحدة ..

وجلس (ممدوح) يلهث ، غير مصدّق أنه قد نجا من ذلك الفخ ، ولا أن كل هذا قد حدث فى ثوانٍ معدودة ..

وفجأة .. التصقت فُوّهة مسدس (آموس) الباردة برأسه ، وسمع صوت هذا الأخير يقول فى ظفر :

ـــ انتهت اللّعبة أيها المغامر .. لقد خسرت ..

* * *

٦ ــ منزل الشيطان ..

كان (آموس) يتصوّر ، وقد باغت (ممدوح) على هذا النحو ، أن النصر نصيبه لا محالة ، ولكن (ممدوح) لم يكن ممن يستسلمون فى سهولة ، فلقد تحرّك فى سرعة ، على الرغم من المفاجأة ، وهَوَى على قدم (آموس) بكعب بندقيته ، ثم أبعد رأسه عن فوّهة المسدّس فى سرعة ، ودفع البندقيّة فى فك (آموس) ، وهو يقول فى قوّة وثبات :

ــ صدقت فى نصف عبارتك يا رجل .. لقد انتهت اللُّعبة .. أين الخرتيت الأبيض ؟

اقتحم ثلاثة من أعوان (آموس) المكان فى تلك اللحظة ، وتجمّدوا فى أماكنهم ، عندما رأوا (ممدوح) يصوّب بندقيته إلى رأس زعيمهم ، وهتف أحدهم :

ــ هل نقتله أيها الزعيم ؟

لوّح (آموس) بكفّه نفيًا فى رعب ، فقال (ممدوح) فى سخرية :

ــ إذن فأنت (آموس) المرعب ، زعيم تلك الحثالة من البشر .. والله اننى لن أشعر بذرّة واحدة من الندم ، إذا ما مزّقت رأسك برصاصتى ، لو لم تسرع بإرشادى إلى موضع التمثال ، فموتك سيكون خدمة للبشرية جمعاء .

أجابه (آموس) فى صوت مرتعد :

ــ لقد أودعته قبوًا سرّيًا فى الحديقة .

قال (ممدوح) فى صرامة :

ــ قُدنى إلى هناك إذن ، ولكن بعد أن نودع هؤلاء الأغبياء الثلاثة نفس السجن ، مع زميليهما ، أم ستدّعى أنك تجهل أسلوب فتح تلك الجدران المعدنية .

تباطأ (آموس) فى تنفيذ الأمر ، فلكزه (ممدوح) بفوّهة البندقية فى عنقه ، قائلًا :

ــ هيّا يا رجل .. إننى أكره التباطؤ .

نهض (آموس) ، وضغط زرًا فى آنية زهور ، تتوسط منضدة قريبة ، فارتفع الجدار المعدنى المقابل ، وقال (ممدوح) للرجال الثلاثة ، الذين تولّاهم الحنق :

ــ هيّا أيها اللُّطفاء .. ودون انفعال أو توتّر ، حرصًا على حياة زعيمكم .

انتقل الرجال الثلاثة إلى السجن الصغير ، وقال أحدهم فى حنق ، عندما بدأ الجدار المعدنىّ يهبط ثانيةً :

ـ لا تتصوَّر أنك ستغادر هذا المكان حيًّا ، ستدفع ثمن حماقتك وتهوُّرك ، بأسرع ممَّا تتصوَّر .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وانتظر حتى انخفض الجدار تمامًا ، فدفع (آموس) أمامه إلى ذلك القبو فى الحديقة ، حيث رأى تمثال الخرتيت الأبيض قابعًا فى أحد الأركان ، فأمر (آموس) بكشف فجوته ، وفعل الزعيم الإجرامىّ ، وسمع (ممدوح) يقول ، وهو يتطلَّع إلى تلك الأسطوانة الشفافة ، داخل التجويف :

ـ إنه سلاح غريب بالفعل .

وفجأة .. ارتفع من خلفه صوت حاسم يقول :

ـ ويحمل فى طيَّاته كارثة ..

التفت إلى مصدر الصوت ، ورأى فتاة رقيقة ، فاحمة الشعر ، تصوِّب إليه مسدَّسًا ، وهى تستطرد فى توتُّر :

ـ وهو ملكى ، ولن يحصل عليه سواى .

ولم تكن تلك الفتاة سوى (تيسى) .. (تيسى كوان) ..

* * *

كان (ممدوح) يتطلَّع إلى الفتاة فى دهشة ، عندما رأى اثنين من أعوان (آموس) يتسلَّلان خلفها ، وقد استلَّ أحدهم خنجرًا حادًّا ، وهمَّ بالانقضاض عليها ، فهتف :

ـ احترسى .

وأطلق من بندقيته رصاصة أردَت الرجل ، فى حين دارت الفتاة على عقبَيْها فى سرعة ، وأطلقت مسدَّسها نحو الآخر ، فسقط جثة هامدة ، واندفع (آموس) يلتقط قائمًا حديديًّا من الأرض ، ويهاجم به (ممدوح) ، الذى هوَى على فكِّه بمؤخرة بندقيته ، فأسقطه فاقد الوعى ، وسمع الفتاة تهتف فى حيْرة :

ـ يبدو أنك قد أنقذت حياتى .. أشكرك .. ولكن ....

قاطعها فى حزم :

ـ فلنؤجل ذلك لما بعد .. المهم أن نرحل من هنا سريعًا ، قبل أن يصل المزيد .

حمل التمثال داخل أحد الصناديق ، وانطلق يعدو خارج القبو ، والفتاة تتبعه ، وهما يعبُران أشجار الحديقة ، فى طريقهما نحو البحيرة ، وهناك ألقى الصندوق فى الماء ، هاتفًا :

ـــ أتجيدين السّباحة ؟

أجابته فى توتّر :

ـــ أجَلْ .

هتف فى حزم :

ـــ اقفزى إلى الماء إذن ، فرجال (آموس) يقتربون منّا .

قفز الاثنان عَبْر السّياج إلى البحيرة ، وراحا يسبحان نحو شرفة الفيلا ، ورصاصات رجال (آموس) تنهمر عليهما كالمطر ، وغاص (ممدوح) يلتقط الصندوق ، وعاد يسبح به نحو الزّوْرق ..

وعندما صوّب أحد رجال (آموس) مسدسه نحو الصندوق ، هتف به آخر :

ـــ حذار يا رجل .. فقد تصيب التمثال ومحتوياته .. أنت تعلم ما الذى يمكن أن يفعله بنا هذا .

وهكذا نجا (ممدوح) ، وواصل سباحته مع الصندوق ، حتى بلغ ذلك الزّوْرق ، الذى ينتظر فيه (توشينام) .. ولم يكد هذا الأخير يلمح (ممدوح) ، حتى تهلّلت أساريره ، وراح يدير محرّك الزّوْرق فى سرعة ، غير مصدّق بنجاح المهمة ، وراح يساعد (ممدوح) فى رفع الصندوق إلى الزّورق ، فى حين هتف هذا الأخير :

ـــ احتفظ به ، حتى أحضر الفتاة .

هتف (توشينام) فى دهشة :

ـــ أيّة فتاة ؟!

ممدوح :

ـــ سأخبرك فيما بعد .. المهم أن تنتظرنا حتى نعود ، أمّا إذا ما استشعرت الخطر ، فاهرب بالتمثال على الفور ، وسأبذل قُصارَى جهدى لِلّحاق بك فيما بعد .

هتف (توشينام) :

ـــ كيف تعود لتلقى نفسك بين مخالب ذلك الشيطان ؟

ولكن هتافه ذهب أدراج الرياح ، فلقد ذهب (ممدوح) ..

عاد إلى الشيطان ..

* * *

بذل (ممدوح) قُصارى جهده ، ليسبح تحت سطح الماء ، لأطول مسافة ممكنة ، حتى لا يضطر إلى رفع رأسه لاستنشاق الهواء ، سوى مرّات معدودة ، لم يكد بعض أعوان (آموس) يلمحونه خلالها ، حتى راحوا يطلقون النار عليه مرّة أخرى ، ولكنه كان يعود ليغوص ، ويواصل سباحته ، حتى بلغ أسفل

الشرفة الرخامية ، حيث اختفت (تيسى) وهى ترتعد ، فقال ليطمئنها :

— لا تقلقى .. سيسير كل شىء على ما يرام .

وانتزع ثياب الغوص ، من ذلك المخبأ الذى تركها فيه ، وساعدها على ارتدائها ، وهو يستطرد :

— سيعاونك هذا الزى على السباحة تحت الماء ، حتى نصل إلى زورق ينتظرنا ، على مقرَبة من هنا .

سألته فى وَجَل :

— وهل سيمكنك السباحة تحت الماء ، دون ذلك الزىّ ؟

ابتسم مغمغمًا :

— سأحاول .

ثم ثبت واحدة من قنابله فى الشرفة ، فى نفس اللحظة التى راح فيها عدد من رجال (آموس) يهبطون إليه ، وغاص خلف الفتاة ..

ولم يكد الاثنان يبتعدان ، حتى انفجرت القنبلة ، وأطاحت برجال (آموس) ، وسط الدوىّ الهائل ..

وسبح (ممدوح) و (تيسى) طويلًا ، حتى بلغا موضع الزورق ، ولكنهما عندما رفعا رأسيهما فوق سطح الماء ، كانت تنتظرهما مفاجأة ..

لقد اختفى الزورق ..

اختفى تمامًا ..

* * *

غمغمت الفتاة ، وهما ينطلقان إلى منزل (توشينام) :

— أمازلت تشعر بالقلق ؟

كانت قد قصَّت عليه قصتها كلها فى الطريق ، وأخبرته كيف تسلَّلت إلى منزل (آموس) لسرقة التمثال ، دون أن ينتزعه هذا من توتُّره ، فهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

— بعض الشىء ، ولكن ربما شعر (توشينام) بالقلق ، فعاد إلى منزله .

لم يكد يبلغ المنزل ، حتى طرق بابه فى لهفة ، ولكنه فوجئ بالباب مفتوحًا ، فغمغم فى قلق :

— هذا الأمر يثير الرِّيبة .

اندفع مع (تيسى) إلى الداخل ، وانتفض قلباهما فى توتُّر ، وقد بدت لهما حالة من الفَوْضى الشديدة تسُود المكان ، فهتفت (تيسى) فى ذُعر :

— لقد تعرَّض المكان لهجوم ما .

أشار (ممدوح) إليها بالصمت ، وانتزع مسدسه وهو يتقدَّم نحو باب حجرة جانبيه ، ثم دفعه ، وقفز إلى الداخل ، وتوقف متجمدًا ، فى حين أطلقت (تيسى) شهقة فزع ، وهى تحدِّق فى ذلك الجسم الملقى وسط الحجرة ..

لقد كان (توشيتام) ..

* * *



وتوقف متجمدًا ، فى حين أطلقت (تيسى) شهقة فزع ، وهى تحدِّق فى ذلك الجسم الملقى وسط الحجرة ..

٧ ــ دعوة إجباريَّة ..

أسرع (ممدوح) يجثو إلى جوار (توشينام) ، وهو يهتف فى جزع :

ــ (توشينـام) !.. من فعـل بك هذا ؟.. أهـم رجـال (آموس) ؟

أجابه (توشينام) ، وهو يتأوَّه ألمًا :

ــ بل فعلها الأسترتانيون .. لقد هاجمونى ، وقلبوا المنزل رأسًا على عقب ، واستولَوْا على التمثال . إننى ....

قاطعه (ممدوح) متأثرًا :

ــ لا تجهد نفسك .. سأبحث عن طبيب و ....

لم يتم عبارته ، ولم يبـحث عن ذلك الطبـيب ، لأن (توشينام) لم يعُد بحاجة إلى طبيب ..

فى هذه الدنيا على الأقل ..

* * *

أوقف (ممدوح) سيارته فى أرقى أحيـاء وسط المدينـة ، والتفت إلى الفتاة ، يسألها فى هدوء :

ــ لاريب أنك تشعرين بالجوع ، ما رأيك لو دعوتك لتناول الطعام ، فى ذلك المطعم ، فى نهاية الشارع ؟

أجابته ، ووجهها يحمل تعبيرًا حزينًا :

ــ ألا يقلقك وجود هذا السلاح الخطير فى أيـدى أعدائك ؟.. لقد خشى أبى ، فى ساعاته الأخيرة ، أن يتسبَّب ذلك السـلاح فى نكبة للبشرية ، ولقد وعدته أن أبذل أقصى جهدى لمنع حدوث ذلك ، ولكننى لم أستطع تنفيذ وصيَّته ..

قال (ممدوح) ، محاولًا التخفيف من أحزانها :

ــ المعركة لم تنته بعد ، فلن ينجح الأسترتانيون فى تهريب ذلك السـلاح إلى دولتهم ، بعد أن أبلغنا السلطات التايلاندية بأمرهم ، فأسرعت تفرض قيودًا صارمة على المطارات والموانى والمخارج .. وثقى أننى سأبذل قُصارَى جهدى لاستعادة تلك الأسطوانة من بين أيديهم ، ولكن إلى أن يحين ذلك ، علينا أن نحيا كبشر ، وأن نُسكت صرخات أمعائنا الجائعة ، حتى نستعيد قدرتنا على التفكير ، وقوتنا للتنفيذ .

قالت فى لهجة تحذيرية ، وهى تغادر السيارة :

ــ اسمعنى جيِّدًا ، وحاول أن تفهمنى هذه المرَّة .. صحيح أننى أميل إليك ، ولكن إذا ما قُدِّر لك أن تستعيد ذلك

الشىء من الأسترتانيين ، فلن أسمح لك بحمله إلى بلادك ..
فبالنسبة لى لا فارق بين وجوده معهم أو معكم ، فالسلاح القوىّ يُغرى صاحبه بفرض سيطرته على الآخرين ، ولقد وعدت أبى أن أبذل قُصارى جهدى لمنع حدوث ذلك .

ـسم قائلًا :

— فهمت .. سوف نناقش هذا فيما بعد .. والآن أكرِّر
ـق لنتناول العشاء معًا ، فالجوع ينهش أمعائى ..

اصطحبها إلى ذلك المطعم فى نهاية الشارع ، حيث راحا يلتهمان الأطعمة التايلاندية فى نهم ، وإن لم تغب عن (ممدوح) — طيلة الوقت — تلك النظرات التى يرمقه بها الجالس على المائدة المواجهة ، والذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يحاصرهما بعينيه ، حتى انتهيا من تناول الطعام ، فنادى (ممدوح) القائم على الخدمة ، ليسدِّد حسابه ، إلَّا أن صاحب الابتسامة الخبيثة نهض إليه فى سرعة ، وقال :

— لقد سدَّدت الحساب كله .

تجاهله (ممدوح) ، وقال وهو يعاون (تيسى) على النهوض :

— معذرة .. أحب دائمًا أن أسدِّد حساباتى بنفسى .

قال الرجل فى حزم :

— ليس من اللياقة أن تحرج مضيفك على هذا النحو ، خاصة وإننى أصرُّ على دعوتك مع حسنائك ، لاستكمال السهرة فى منزلى .

اعتدل (ممدوح) يواجهه ، قائلًا فى صرامة

— أمِنَ اللياقة أن أخبرك أننى أرفض تلك الدعوات الإجبارية ، وذلك الأسلوب غير المهذَّب فى عرضها ؟

فجأة .. أحاط ثلاثة رجال بـ (ممدوح) و (تيسى) ، وكل منهم يحمل معطفه على يده ، على نحو يُوحى بأنه يحمل مسدَّسًا أسفله ، وقال ذو الابتسامة الخبيثة فى شماتة :

— أظنكما ستلبيان دعوتى ، شئتما أم أبيتما ، فلست أظنكما ترغبان فى إفساد شهية روّاد المطعم ، لرؤية دمائكما تلوِّث المكان .

هزَّ (ممدوح) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— أظننى قد اقتنعت ، فلست أكره شيئًا ، قدر إفساد شهية الآخرين .

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

— شعور طيّب يا رجل .. هيّا .. هيّا .. سنصطحبكما إلى سيارتى ، أمام المطعم .

قال (ممدوح) فى صرامة ، وهو يقود (تيسى) إلى الخارج :

— سنفعل ، ولكن ثِقْ أننى سأعاتبك فى شدة ، على ذلك الأسلوب غير المهذّب ، عندما أجد مكانًا أكثر ملاءمة ..

أطلق الرجل ضحكة خافتة ، وهو يعبث بخصلات شعره ، قائلًا :

— كم تَرُوق لى روحك المَرِحة .

همست الفتاة فى أذن (ممدوح) ، وهما يتجهان إلى السيارة :

— اسمع .. إننى أجيد (الكاراتيه) ، ويمكننى أن أتعامل جيّدًا مع ذلك الذى يمسك المسدّس إلى يسارى .

همس فى هدوء :

— هذا لا يقلقنى ، فأنا أفضّل أن يأسرنا هؤلاء الأشرار .

هتفت فى دهشة :

— كيف ؟!

أجابها فى هدوء :

— سيقودوننا إلى الخرتيت الأبيض .. إنهم من الأسترتانيين .. لقد تعرَّفت أحدهم .

قالها وهما يركبان السيارة ، ثم ابتسم ، وترك السيارة تنهب الطريق فى سرعة ..

إلى المجهول ..

* * *



٨ ـ العدوّ القديم ..

لم يكد (ممدوح) و (تيسى) يدخلان بهو ذلك المنزل الفسيح ، الذى تحيط به الأشجار ، حتى طلب منهم ذلك الرجل ، ذو الابتسامة الخبيثة أن ينتظرا ، وأسرع يصعد سُلّمًا إلى الطابق العلوىّ ، فى حين ترك رجاله الثلاثة يحيطون بهما ، فراحَ (ممدوح) يدير عينيه فيما حوله ، باحثًا عن ثغرات للفرار ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، ثم لم يلبث أن رأى ذا الابتسامة الخبيثة يهبط ، فى صحبة رجل متوسط الطول ، نحيل ، أشيب الشعر قصيره ، بدت عيناه ، من خلف منظاره الطبىّ ، أشبه بعينى ثعلب ماكر ، ولقد هتف الرجل ، فور أن وقعت عيناه على (ممدوح) :

ـ مرحى يا رجل !! عندما أخبرونى عن حقيقة شخصيتك ، لم أملك إلّا أن ألقاك بنفسى .. فمن النادر أن نلتقى وجهًا لوجه ، دون إثارة ومغامرات ، أيها المقدّم (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، والتفت إلى (تيسى) ، قائلًا :

ـ أقدم لك الكولونيل (صموئيل) ، أحد أهم رجال المخابرات الأسترالية .

ثم التفت إلى الرجل ، مستطردًا :

ـ هذا لو أن هذه الصفة ما زالت تنطبق عليك ، فلكم يدهشنى أن يحتفظوا بك ، بعد كل ما لقيته من فشل ، فى عمليتنا الأخيرة فى (المغرب) ، ولكن يبدو أنهم قد قرّروا منحك فرصة ثانية فى (بانكوك) .

احتقن وجه (صموئيل) ، ولكنه كتم غيظه ، قائلًا :

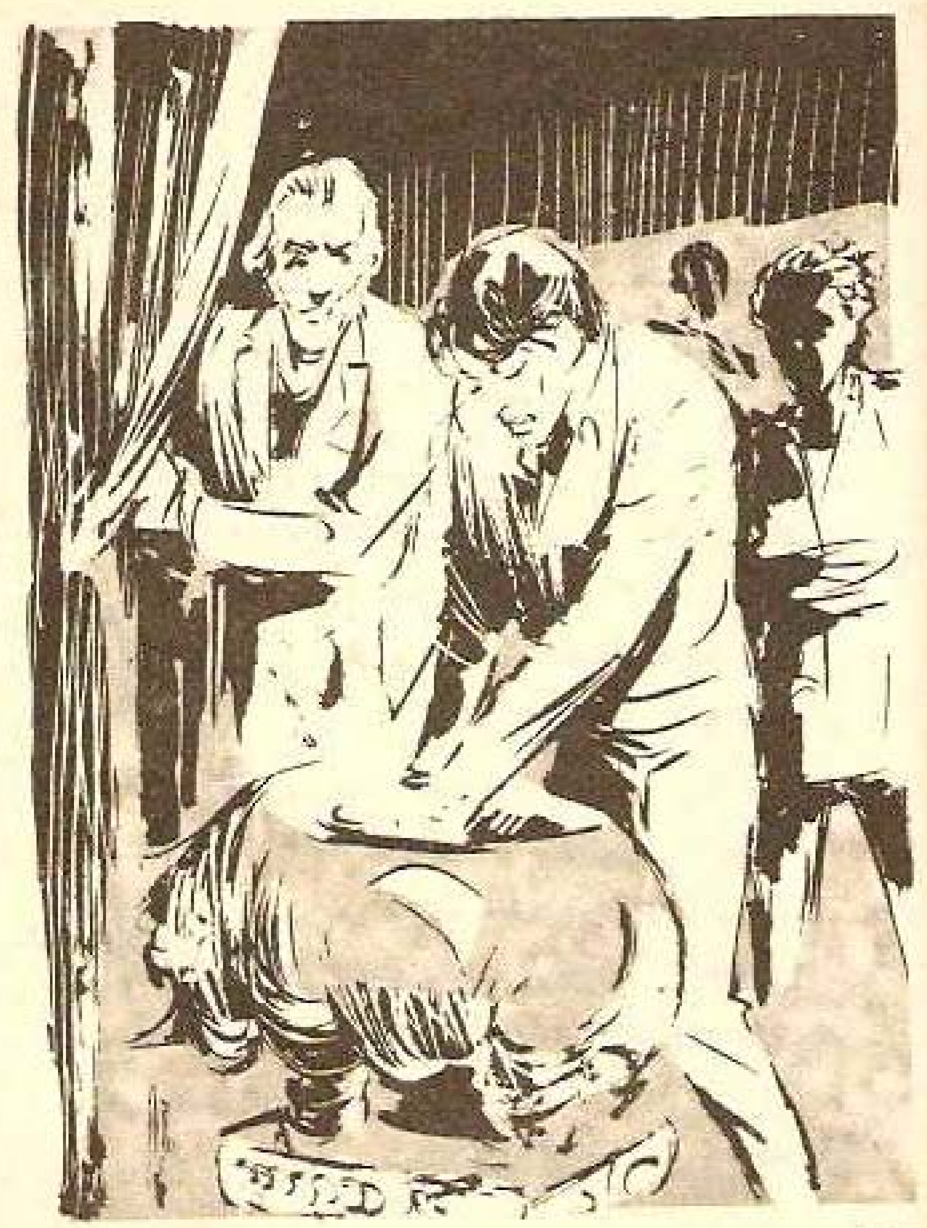
ـ هذا صحيح ، ولقد قرّرت أن أعوّض لهم خسارة (المغرب) هنا ، فلن أسمح لك بالإفلات مهما حدث .

قال (ممدوح) فى سخرية :

ـ يؤسفنى أن تضع كل آمالك على هذه النقطة ، فأنا أمثل سوء طالعك دومًا .

انفعل (صموئيل) ، وهتف بصوت أجش ، لم يتناسب أبدًا مع قامته النحيلة :

ـ حسنًا .. فلنلق الهزل جانبًا ، ولنتحدّث بعض الوقت



تطلَّع (ممدوح) إلى التجويف الفارغ فى دهشة ، وأنبأه عقله أن (صموئيل) صادق فى ثورته ..

فى جدّيّة .. لقد سبقتنا إلى تنفيذ عملية منزل (آموس) ، التى كنت أخطِّط لها ، مع عشرة رجال ، ولقد نجحت فى الاستيلاء على التمثال ، ولكن .. أتعلم أين هو الآن ؟.. أين السلاح ؟

أجابه (ممدوح) ساخرًا :

ــ لديك هنا .. وكلانا يعلم ذلك .

ارتسمت على شفتى (صموئيل) ابتسامة مُختَنِقة ، وخطا خطوتين جانبيتين ، وأزاح ستارًا ثقيلًا عن أحد جوانب الرَّدْهة ، كاشفًا عن تمثال الخرتيت الأبيض ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هاهو ذا تمثال الخرتيت الأبيض اللَّعين ، وهاهو ذا التجويف الداخلى له ، ولكنه فارغ كما تريان ، فأين أخفيتما الكبسولة .

تطلَّع (ممدوح) إلى التجويف الفارغ فى دهشة ، وأنبأه عقله أن (صموئيل) صادق فى ثورته ، فهتف من أعماقه فى دهشة :

ــ لو أن (الأسترانانيين) لم يحصلوا على الكبسولة ، فمن استولى عليها إذن ؟.. ومتى ؟.. وكيف ؟..

عقد (صموئيل) كفَّيه خلف ظهره ، وتقدَّم نحو (ممدوح) ، قائلًا فى لهجة تحمل نبرات التهديد والوعيد :

— اسمعنى جيدًا أيها الشاب ، لقد حاولت أن أتغاضى عن كل ما سببته لنا من متاعب فى الماضى ، مقابل نجاح هذه العملية .. أرشدنى إلى موضع الكبسولة ، وأعدك أن أمنحك حريتك أنت وفتاتك .. أما إذا لجأت إلى الألاعيب والمناورات مرّة أخرى ، فلن أرحمك ، وسألقى جثتك إلى الكلاب ، لتنهش عظامها قبل لحمها .

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

— دعْك من كل هذا يا (صموئيل) .. فلو أننى أعرف موضع الكبسولة ، ما أرشدتك إليها أبدًا ، ولكن الواقع هو أننى أجهل أين هى ، مثلك تمامًا ، بعد كل ما تجشّمته من أجلها .

هتف (صموئيل) فى غضب :

— فلتتحمّل العواقب إذن ، و لـ ....

قاطعته (تيسى) فى صوت هادئ النبرات :

— إنك تتفاوض بأسلوب عقيم يا كولونيل (صموئيل) .. لو أنك تريد الكبسولة حقًا ، فلتحدّد الثمن ، وسنرى إذا ما كان مناسبًا أم لا .

أدار (صموئيل) عينيه إليها فى صرامة ، وحدجها بنظراته ، قائلًا :

— أيعنى هذا أنكما تعرفان أين هى ؟

أجابته بنفس النبرات الهادئة :

— لا شأن للمقدم (ممدوح) بذلك .. أنا وحدى أعرف أين هى .

شعر (ممدوح) بدهشة بالغة فى أعماقه ، إلّا أنه احتفظ بملامحه هادئة تمامًا ، فى حين أضافت هى بنفس الهدوء :

— أريد عشرة ملايين دولار ، يتم تسليمها بعد أربع وعشرين ساعة فحسب ، وأن يطلق سراحنا فور الاتفاق على موعد ومكان التسليم .

ثبّت (صموئيل) منظاره الطبىّ فوق عينيه ، وهو يتفرّس فى ملامحها ، قائلًا :

— ألست تبالغين فى شروطك بعض الشىء أيتها الجميلة ؟

أجابته فى صرامة :

— بل أمنحك أفضل شروط ممكنة يا كولونيل (صموئيل) ، فأنا أعلم أن (آموس) كان يطالبك بمائة مليون ، ولكننى أحب أن أنهى صفقاتى فى سرعة .

صموئيل :

— وما الذى يؤكّد لى أنك لا تخدعيننى ، للخروج من هنا ؟

تيسى :

ــ ألديك خيار آخر ، سوى تصديقى ؟

صموئيل :

ــ نعم .. يمكننى الاحتفاظ بالمقدم (ممدوح) هنا ، كرهينة ، لحين ....

قاطعته فى حزم :

ــ سيغادر المكان معى ، وإلّا فلا اتفاق .

هتف فى حنق :

ــ لِمَ تُعيرين ذلك المقدم كل هذا الاهتمام ؟

أجابته فى هدوء :

ــ إننى أحبّه .

حدّق (صموئيل) فى وجهها فى دهشة لحظات ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ أهنئك يا صديقى .. لقد فزت بقلب الفتاة فى زمن قياسىّ ، لا يتجاوز اليومين .

ثم عاد يلتفت إلى (تيسى) ، قائلًا :

ــ حسنًا .. إننى أوافق على الصفقة بكل شروطها ، حدّدى المكان والزمان .

تيسى :

ــ العاشرة من مساء الغد .. عند مخزن الأخشاب المهجور فى (كونتان) .

صموئيل :

ــ فليكن .. ولكن قبل أن أسمح لكما بمغادرة المكان ، أحبُ أن تعلمى أننى أكره الخداع ، وأننى سأجد طريقى إليكما ، حتى ولو اختفيتما فى قلب الجحيم .

أجابته (تيسى) فى ثقة :

ــ مُرْ رجالك بإيصالنا إلى قلب المدينة ، واجتهد فى إعداد المبلغ المطلوب ، ثم تأكّد أننى أيضًا أكره الخداع ، وأنك لن تضع يدك على الكبسولة ، قبل أن أضع أنا يدى على الملايين العشرة ، لا تنقص دولارًا واحدًا .

أمر رجاله بتوصيلهما إلى قلب المدينة بسيارته ، ووقف خلف النافذة يراقب ابتعاد السيارة بعينيه النافذتين ، فى حين اقترب منه صاحب الابتسامة الخبيثة ، وهو يقول فى دهشة واستنكار :

ــ كم يدهشنى أسلوبك هذا !.. كيف تسمح لهما بالانصراف ؟.. أليس من المحتمل أنها مجرّد خُدعة ؟

أجابه (صموئيل) فى صرامة :

— إننى أتعامل مع الأمور بمنظار واقعى يا رجل ، فـ (ممدوح) وهذه الفتاة ، ليسا من الطراز الـذى ينهار بالإكراه والتعذيب ، ولدىَّ شعور قوىّ بأن الفتاة تعرف الكثير عن موضع الكبسولة ، وأعلم أن مساومتها مجرَّد خدعة للفرار ، وأنها لن تسلمنا الكبسولة ، حتى ولو منحناها أضعاف ذلك .

هتف الرجل فى دهشة :

— كيف سمحت لهما بالخروج إذن ؟

لوَّح بكفِّه ، قائلًا فى حزم :

— لم يكن أمامى سوى خوض تلك المخاطرة ، ولقد أشرت لرجالنا بمراقبتهما سرًا ، وأخبرتهم أنه سواء قادتهم المراقبة إلى موضع الكبسولة ، أو أثبتت لهم أن الأمر مجرَّد خدعة ، فعليهم فى النهاية أن يقوموا بإجراء واحد ..

وفرقع إصبعيه ، مستطردًا فى حزم :

— يقتلونهما ..

* * *

٩ ــ مطاردة فى السوق ..

جذب (ممدوح) ذراع (تيسى) فى غضب ، وهما يتجهان إلى أحد أسواق المدينة ، قائلًا فى حَنَق :

— لاتحاولى إيهامى أنا أيضًا بأنك تعرفين موضع تلك الكبسولة .

هتفت وهى تنزع ذراعها من يده فى رفق :

— إننى لم أقل هذا ، إننا لم نفترق منذ اختفت الكبسولة ، فكيف لى أن أعرف موضعها ، لقد كانت خدعة للإفلات منهم فحسب .

التفت إليها ، وهو يقول فى ضيق :

— أتظنين (الأستراتانيين) من الغباء، بحيث يصدِّقون قصتك بهذه السهولة ؟.. انظرى خلفك ، وستجدين أنهم يتتبعوننا حتى الآن .

أجابته فى هدوء :

— أعلم ذلك ، وأعلم أيضًا أنهم فور كشفهم لخدعتى ،

سيتخلّصون منا بلا تردُّد .. ولكن ألا ترى معى أن فرصتنا فى الفرار منهم ، ونحن فى سوق المدينة ، أفضل منها ونحن فى وكرهم ، وبين أيديهم ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ أعترف بذلك ، وأقر بأنك قد أديت دورك فى براعة .

ابتسمت قائلة فى حياء :

ــ لقد صدقت فى نقطة .. إننى أميل إليك بالفعل .

تطلّع إليها لحظة ، ثم مسح شعرها بكفّه ، مغمغمًا :

ــ وأنا أيضًا يا (تيسى) ، ولكن هذه الظروف ....

بتر عبارته وهو يحاول السيطرة على تلك الموجة العاطفية ، التى جرفته وهو يتطلّع إلى عينى الفتاة ، ثم لم يلبث أن أدار دفّة الحديث بعيدًا ، وهو يقول :

ــ أعتقد أنه قد حان دورى ، للعمل على التخلّص من هذين الفضوليين .

سألته فى اهتمام :

ــ ما الذى تنوى عمله ؟

أجابها فى بساطة :

سأبحث عن زقاق ضيّق ، وأتدرّب معهم على بعض الوسائل القتالية ، التى تعلمتها فى إدارتى .

أدارت عينيها فى السوق المزدحم ، وقالت فى هدوء :

ــ أظننى أملك وسيلة أكثر فاعلية .

سألها فى اهتمام :

ــ ما هى ؟

أجابته فى هدوء :

ــ سترى .

ثم استدارت إلى الرجلين ، وأطلقت صرخة مدوّية ، أثارت ذُعر كل كائن فى السوق ، قبل أن تشير إلى الرجلين ، صارخة :

ــ لقد اختطفا أخى الصغير ، وقتلاه ؛ لأن أبى لم يدفع لهما ما أرادا ابتزازه منه ، وهما يطارداننى لقتلى أيضًا .. النجدة !!

لم تكد تنتهى من عبارتها ، حتى كان العشرات قد تخلّوا عن أعمالهم ، واندفعوا نحو الرجلين فى ثورة وغضب ، فانتزع أحدهما مسدّسه ، وأطلق منه رصاصة ، زادت من ثورة سكان المدينة ، فلم يجد الرجلان أمامهما سوى الفرار ، والعشرات يطاردونهما فى هياج ، صارخين :

ــ قتلة !! قتلة !!

أما الفتاة ، فأمسكت بذراع (ممدوح) ، هاتفة :

ــ ألم أقل لك إنها وسيلة أكثر فاعلية ؟

هتف وهو يعدو إلى جوارها :

ــ وبساطة .

توقَّف الاثنان بغتة ، عندما قطع الطريق عليهما اثنان من (الأسترتانيين)، وقد شهر أحدهما خنجرًا، والثانى سيفًا قصيرًا ، وعيونهما يطل منها الشر ، فهتف (ممدوح) ، والرجل الثانى ينقضُّ عليه بسيفه :

ــ يبدو أن الجحيم لا يخلو من الشياطين أبدًا .

ودار على عَقِبَيْه فى سرعة ، ودفع عربة خشبية محمّلة بثمار الطماطم ، نحو الرجل فى قوّة ، فارتطمت به العربة ، وسقطت فوقه ، فى حين اندفع زميله نحو (ممدوح) ، الذى قبض على معصمه بيسراه ، وعاجله بلكمة من يمناه ، ثم أدار ذراعه خلف ظهره فى قوّة ، ودفعه نحو عربة الطماطم ، فى الوقت الذى هَبَّ فيه الأول غاضبًا ، واندفع نحو (ممدوح) ، رافعًا سيفه ، ولكن (تيسى) قفزت فى براعة ، وركلته فى صدره ، فتراجع فى عنف ، وسقط سيفه أرضًا .. وقبل أن ينهض ، كانت ترتكز على إحدى قدميها ، وتدير الأخرى فى

الهواء كالمروحة ، لتلطم الرجل فى فكّه ، وتلقيه بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (ممدوح) ، متعلقًا بمظلة أحد المتاجر ، ودار حول قائمها فى رشاقة ، ليركل الثانى فى صدره أيضًا ، ثم يقفز فوقه ، ويكيل له عدة لكمات تفقده الوعى ، ويستدير إلى ذلك الذى يقاتل (تيسى) ، والذى التقط سيفه فى سرعة ، ونجح فى إصابتها فى كتفها بنصله ، ثم رفعه فى غضب ، ليغمده فى صدرها ، ولكن (ممدوح) انقضَّ عليه كالفهد ، ودفع وجهه داخل صندوق يمتلئ بالأسماك المجمَّدة ، المحاطة بقطع من الثلج ، ثم أمسك معصمه ، وراح يضربه بحافة عدد من الصناديق الأخرى ، حتى أجبره على ترك سيفه ، ثم أدار وجهه إليه ، وهوَى على فكّه بلكمة كالقنبلة ، أعادته وسط صناديق الأسماك ..

ونهض (ممدوح) فى هدوء ، وأخرج من جيبه عددًا من الأوراق المالية ، دفعها إلى صاحب الأسماك ، قائلًا :

ــ يؤسفنى ما أصاب بضاعتك ، وأظن هذا تعويضًا كافيًا .

ثم جذب (تيسى) من معصمها ، وانصرف معها ، ومن خلفهما انطلق هتاف إعجاب ..

* * *

١٠ ـ الرجل الغامض ..

قال (ممدوح) لـ (تيسى) ، وهما يشقّان طريقهما بين روّاد السوق :

ـ عندما نبلغ نهاية السوق ، سنستقل أوّل سيّارة أجرة تقابلنا ، قبل أن يلحق بنا هؤلاء (الأسترتانيون) .

ولكن الفتاة توقّفت بغتة ، وتطلّعت إلى رجل يبتاع بعض البضائع ، وهتفت :

ـ (سوينج) ؟!

هتف بها (ممدوح) :

ـ من (سوينج) هذا ؟.. دعينا نسارع بالفرار ، قبل أن يلحق بنا هؤلاء الـ ....

قاطعته فى عناد :

ـ إنه (سوينج) .. خادم الأسرة .. لقد اختفى إثر وفاة أبى ، وأنا أبحث عنه عبثًا منذ زمن ، وأظنه يستطيع معاونتنا ، فها هى ذى سيّارته العتيقة إلى جواره .

قالتها واندفعت نحو الخادم الصينى ، الذى لم يكد يلمحها ، ويسمع هتافها باسمه ، حتى انتابه اضطراب شديد ، وقفز إلى سيّارته ، وانطلق بها وسط الزحام ، متخلّيًا عن كل ما ابتاعه ، حتى كاد يصيب الفتاة نفسها بمقدمة سيّارته ، فتوقفت هاتفة فى دهشة :

ـ ماذا دهاه ؟!.. لقد بدا وكأنما رأى شبحًا !!

سألها (ممدوح) فى ريبة :

ـ أيعلم بأمر الصاروخ ؟

تيسى :

ـ نعم .. كان موجودًا عندما تُوُفِّىَ أبى ، ولقد رأى وسمع كل شىء ، ولكننى لست أدرى ما إذا كان قد أدرك طبيعة ما رآه أم لا .

تطلّع (ممدوح) إلى واحدة من سيارات النقل ، وقفت تُفرغ حمولتها ، وغمغم :

ـ سنتأكّد من ذلك .

وجذبها من يدها فى سرعة ، وقفزا معًا داخل كابينة السيّارة ، وأدار محرّكها متجاهلًا صياح سائقها ، ثم انطلق بها خلف (سوينج) ، فهتفت (تيسى) :

ــ ماذا تفعل ؟

أجابها فى حزم :

ــ أحاول اللّحاق بخادمكم الصينى ، فمن الواضح أنه يعرف الكثير ، وهناك صلة حتمًا ما بين اختفائه المفاجئ ، ومهاجمة (آموس) ورجاله لمنزل عمك ، وكل ما تلا ذلك .

أدهشها ذلك التفسير ، وأثار توتُّرها فى شدة ، إلَّا أنها لم تبسْ بحرف واحد ، وهى تنكمش فى مقعدها ، تاركة (ممدوح) يطارد الخادم الصينى ، عبْر شوارع (بانكوك) ، وقد زاد من سرعته ، وانحرف خلف السيَّارة العتيقة ، فى طريق جانبى ، ثم توقَّف عندما رأى السيَّارة متوقِّفة على قِيد بضعة أمتار ، وبابها الأيسر مفتوح ، وقد أمسكت بها النيران ، وهتفت (تيسى) :

ــ ماذا أصابها ؟

عاد (ممدوح) يقترب بسيَّارة النقل ، حيث أوقفها على بعد مترين من السيَّارة المشتعلة ، وهبط منها ، قائلًا :

ــ سنرى .

هتفت (تيسى) فى هلَع ، عندما رأته يندفع نحو السيَّارة الأخرى :

ــ ماذا تفعل ؟.. إنها ستنفجر .

لم يأبه لصراخها ، وهو يتابع طريقه إلى السيَّارة المشتعلة فى سرعة ، ثم ألقى نظرة داخلها ، على الرغم من ألسنة النيران ، التى تكاد تلامسه ، وعاد إلى سيَّارة النقل فى قفزة واحدة ، وابتعد بها عن مصدر النيران ، وهو يقول :

ــ أحدهم صبَّ عليها الوقود ، وأشعل فيها النيران ، وستنفجر بعد لحظات .

سألته فى هلَع :

ــ و (سوينج) ؟!

أجابها .

ــ ليس هناك .. لقد اختفى .

هتفت فى ذُعر :

ــ أتعنى أنه .....؟

قاطعها فى حزم :

ــ اختطف .. لقد اختطفوه ، وأشعلوا النيران فى سيَّارته للتمويه .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى انفجرت السيَّارة فى دوِىٍّ شديد ، واضعة خاتمة لفصل جديد من ذلك الصراع الدموىّ الرهيب ..

* * *



لم يأبه لصراخها ، وهو يتابع طريقه إلى السيّارة المشتعلة فى سرعة ، ثم ألقى نظرة داخلها ، على الرغم من ألسنة النيران ..

بعد أن تم تضميد جرح (تيسى) ، بواسطة طبيب شهير ، اصطحبها (ممدوح) إلى بقعة هادئة ، وراح يحدثها ، قائلًا :

ــ اختفاء خادمكم الصينى على هذا النحو يثير قلقى .

تيسى :

ــ ربّما فرّ من السيّارة قبيل اشتعالها ، أو أنه هو الذى أشعل فيها النيران ؛ ليضلّلنا .

ممدوح :

ــ أو ربّما فعلها (الأسترتانيون) ، فقد خُيِّل إلىّ أننى قد لمحت إحدى سيّاراتهم تتبعنا ، منذ غادرنا منزل (صموئيل) .

وصمت برهة مفكّرًا ، ثم أضاف :

ــ أظنهم يشتبهون فيه مثلنا ، أو ربّما أن مطاردتنا له كانت دافعًا لهم ، ليتعقّبوه ، ويحاولوا النَّيلَ منه .

تيسى :

ــ مجرّد تخمينات .

ممدوح :

ــ من الضرورىّ أن نحاول تحويلها إلى حقائق .

تيسى :

ــ ماذا تعنى ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ سأقوم بزيارة أخرى لمنزل الكولونيل (صموئيل) ؛ لأبحث عن الحقيقة بنفسى .

تطلّعت إليه فى دهشة تمتزج بالقلق ، مغمغمة :

ـــ بعد كل هذا الجهد ، تريد أن تعود لتلقى نفسك بين أيديهم .

ممدوح :

ـــ لقد أتيت إلى هنا لهدف واحد ، هو أن أمنع وقوع ذلك الشىء الرهيب ، الذى عثر عليه أبوك فى أيدى (الأسترتانيين) ، ولن أدّخر وسعًا لتحقيق ذلك .

تيسى :

ـــ سنذهب معًا إذن .

ممدوح :

ـــ لا .. لن أسمح لك بتعريض نفسك للمخاطرة مرّة أخرى .

تيسى :

ـــ لا تنس أنت أيضًا أننى قطعت عهدًا على نفسى ، أمام أبى (رحمه الله) ، بنفس المعنى الذى تقصده .

غمغم مُحْنقًا :

ـــ أنتِ عنيدة للغاية .

ابتسمت قائلة :

ـــ لا تضيّع الوقت فى مجادلة فتاة عنيدة إذن .

مدّ يده يرفع خصلة تهدّلت على جبينها ، وهو يتأمّلها مغمغمًا :

ـــ أتعلمين أيّتها الفتاة العنيدة أننى أنا أيضًا أميل إليك ؟

أشرق وجهها لعبارته ، إلّا أنه لم يسمح لها ، أو لنفسه ، بالاستغراق فى تلك اللحظات العاطفيّة ، فقال مستطردًا فى حزم :

ـــ هيّا إذن .

وانطلقت بهما السيّارة نحو الهدف .

* * *



١١ ــ مطاردة انتحاريّة ..

ساد الظلام تمامًا فى المنطقة ، وجثم (ممدوح) وسط عدد من الشجيرات الصغيرة ، فوق ربوة عالية ، يراقب المنزل القائم بين الأشجار الضخمة ، والمحاط بسور شاهق من الأحجار الملوّنة ، و (تيسى) إلى جواره ، لاترى شيئًا ، فيما عدا الأضواء المنبعثة من المنزل ، على عكس (ممدوح) ، الذى يضع فوق عينيه منظارًا خاصًا ، مزوّدًا بالأشعة دون الحمراء ، يتيح له رؤية كل شىء فى الظلام ..

وتأهّب (ممدوح) للتسلّل إلى المنزل ، الذى يبعد حوالى أربعمائة متر ، فناول مسدّسًا كبيرًا لـ (تيسى) ، وهو يهمس :

ــ سأتسلّل الآن إلى المنزل ، لمراقبة الأمور عن كثب ، وستبقين أنت هنا لمتابعة الموقف ، وسأعطيك هذا المنظار ، المزوّد بالأشعة دون الحمراء ؛ ليمكنك الرؤية فى وضوح ، واستخدمى المسدّس عند الضرورة .

احتجّت (تيسى) ، قائلة :

ــ ولكننا لم نتفق على ذلك .. سأذهب معك .

تطلّع إليها (ممدوح) فى غضب ، قائلًا :

ــ لاتحاولى معارضتى الآن ، فلم يَعُد الأمر يحتمل العناد ، ووجودك فى هذا الموقع لا يقل أهمّيّة عن وجودى هناك ، إذ ربّما جعلك هذا تنقذيننى وقت اللزوم ، إذا ماتعقّدت الأمور ، أو على الأقل يمكنك الاتصال بالشرطة .

أدركت (تيسى) أنه لا فائدة من معارضته ، فأمسكت ذراعه ، وقالت فى رجاء :

ــ كُنْ على حذر .

طمأنها بابتسامة رقيقة ، وهو يربّت على يدها ، ثم انطلق يشقّ طريقه بين الشُجيرات الصغيرة ، وينحدر فوق الرَّبْوَة الخضراء ، المُطِلّة على المنزل ، حتى أصبح على مسافة قريبة من سور المنزل ، فأخرج حقيبته الجلدية الصغيرة ، والتقط منها حذاءً إسفنجيًّا فى الظاهر ، فخلع حذاءه ، وحمله فى حرص ، ثم ارتدى الحذاء الآخر ، وراح يقفز به كما لو كان يقفز فوق عدد من (اليايات) المَرِنة ، باذلًا أقصى جهده للوصول إلى أقصى ارتفاع ممكن ، حتى اطمأنّ إلى بلوغه الارتفاع المطلوب ، فاقترب من سور المنزل ، وعاوَدَ القفز ، حتى حطّ

فوق حافة السور الحجرى ، وقفز منها إلى منطقة الأشجار ، فدفعه الحذاء للقفز مرّة أخرى ، مما جعله يتعلّق بأحد أفرع الأشجار ، وهناك خلع الحذاء القافز ، وارتدى الآخر ، ثم هبط من الشجرة ، وراحَ يزحف بين الأشجار ، نحو شجرة ضخمة ، وقع اختياره عليها كَمَكْمَن ..

وفجأة .. أتاه صوت آمر على بعد نصف متر ، يقول فى صرامة :

ـــ سأقتلك عند أدنى حركة .. ارفع يديك فوق رأسك .

التفت (ممدوح) ليرى شخصًا يصوِّب إليه مدفعه الآلىّ ، فرفع يديه فى بطء ، وضغط زرًّا خفيًّا فى ساعته ، فقفزت عدستها الخارجية ، وانشطرت إلى نصفين ، استقر كل منهما داخل إحدى ماسورتى البندقية الآلية ، وعندما ضغط الرجل الزِّناد ، لم تنطلق الرصاصات ، فابتسم (ممدوح) فى سخرية ، قائلًا :

ـــ إنها إحدى فوائد تكنولوجيا العصر يا صديقى ، العدسة مصنوعة من مادّة كيميائية خاصّة ، وبإطلاقها نحو الهدف ، تذوب مادتها تلقائيًا ، وتعمل على تعطيل الأسلحة النارية ، أيًا ما كان نوعها ، كما حدث الآن .

احتقن وجه الرجل ، وألقى ببندقيته جانبًا ، وحاول انتزاع مسدسه المعلّق حول إبطه ، ولكن (ممدوح) لم يمنحه الفرصة لذلك ، فقد انقضّ عليه فى صمت ، وقفزت قدمه بركلة قويّة فى ذقنه ، وأخرى فى يده ، فأطار مسدّسه ، ثم عاجله بضرْبة قويّة على عنقه ، فأسقطه فاقد الوعى ، ونفض (ممدوح) يده ، مغمغمًا :

ـــ أرجو ألا أجد الكثيرين من أمثالك ، فلست أجد فى نفسى رغبة فى القتال اليوم .

سارت الأمور بعدها على ما يرام ، حتى بلغ المنزل ، ولمح نافذة مفتوحة فى الطابق الأوّل ، واستعدّ للتسلّل عَبْرَها ، لولا أن لاح له ثلاثة من (الأسترتانيين) ، وهم يجُوبُون المكان بأسلحتهم ، ولمح الباب الخارجىّ وهو يُفتح ، وتنبعث من خلفه الأضواء ، ثم يبدو الكولونيل (صموئيل) على عتبته ، وهو يودّع شخصًا يهمُّ بركوب سيارة ضخمة سوداء ، متوقفة أمام الباب الخارجىّ ، ولقد عرف (ممدوح) ذلك الشخص على الفور ..

لقد كان السفير (الأسترتانى) فى بانكوك ، وكان يُمسك ساعد (صموئيل) قائلًا :

ـــ سأنقل إلى الحكومة تلك الصورة ، التى تعبِّر عن مدى ما تبذله من مجهودات ، للحصول على الكبسولة ، ولكنهم لن يتقبلوا الفشل فى سهولة بالطبع .

صموئيل :

ـــ سأبذل قُصارى جهدى ؛ لإجبار ذلك الخادم الصينى على الاعتراف .

السفير :

ـــ أنت تعلم أنَّ المسئولين يريدون تلك الكبسولة بأىِّ ثمن ، فإن لم يفلح العنف مع ذلك الصينى يمكنك أن تفاوضه ، أو تساومه للحصول على أىِّ ثمن فى مقابل الكشف عن مكانها .

واتجه إلى سيارته ، وهو يضيف :

ـــ وأحب أن أذكِّرك مرَّة أخرى ، بأن السفارة لن تتورَّط رسميًا ، فى أيَّة فضيحة ديلوماسيَّة ، لو أنك فشلت ، وسيكون هذا آخر لقاء بيننا ، حتى تُرسل من يخبرنى بحصولك على الكبسولة ، وعندئذ فقط سأقوم بنقلها إلى (أسترتان) فى حقيبة ديلوماسيَّة .

غمغم (صموئيل) ، وهو يغلق باب السيَّارة خلفه :

ـــ اطمئن يا سيِّدى .. سينتهى كل شىء على ما يرام .

انطلقت السيَّارة بستائرها المُسْدلة ، إلى الخارج ، وانتهز (ممدوح) فرصة انشغال (صموئيل) وأعوانه فى توديع السفير ، وعاد يرتدى حذاء القفز ، ويقفز إلى النافذة ، ومنها إلى حجرة واسعة قليلة الأثاث ، لم يلبث أن اجتازها إلى رَدْهة خارجية ، قادته إلى عدد من الغرف الجانبية ، حتى بلغ حجرة مظلمة ، تتصاعد داخلها أصوات مخيفة ، فبحث عن زرِّ الإضاءة ، وضغطه .. ولم يكد يفعل ، حتى تراجع فى دهشة ، فقد كانت الحجرة تحوى قفصًا ضخمًا ، يضم ثلاثة من الفهود السوداء المتوحشة ، وقد جعلها اشتعال الضوء تزمجر فى شراسة ..

وفجأة .. أطبقت يد قويَّة على عنق (ممدوح) من الخلف ، ولوَت يدٌ أخرى ذراعه خلف ظهره ، ثم دفعته نحو القفص ، لترتطم رأسه بقضبانه فى قوَّة ، وراحت تدفعه فى عنف متوالٍ ، فى محاولة لإفقاده وعيه ، مما أثار الفهود ، فراحت تزمجر فى وحشية ، وتدفع مخالبها نحو (ممدوح) ، الذى لم يجد أمامه سوى التظاهر بفقدان الوعى ، فألقى رأسه على صدره ، وأرخى ذراعيه جانبًا ..

ولم يكد خصمه يطمئن إلى فقدانه وعيه ، حتى أحاط صدره بساعديه فى قوَّة ، وفتح القفص بيده ، ثم حمل (ممدوح) ، وهمَّ بإلقائه داخله ، لتلتهمه الفهود ، التى تألَّقت أنيابها ببريق قوىّ ..

بريق الموت ..

* * *



١٢ ـ قفص الرُّعب ..

دبَّ النَّشاط بغتة فى جسد (ممدوح) ، وتحرَّك مرفقه فى سرعة وقوة ، فلطم خصمه فى صدره ، ودفعه إلى الخلف خطوتين ، ثم أفلت من بين ذراعيه ، واستدار يلكمه بقوة فى أمعائه ، ثم يعقب ذلك بلكمة ساحقة فى فكِّه ، ولكن الرجل تفادى اللكمة ، وتحوَّل لمواجهة (ممدوح) بجسده الضخم ، إلَّا أن (ممدوح) ضم قبضتيه ، وهوَى بهما على مؤخرة عنق خصمه العملاق ، فدفعه إلى الأمام ، نحو باب القفص المفتوح ..

وعندما اعتدل الرجل ، اتسعت عيناه فى هلَع ورُعب ، فقد كان أحد الفهود قد غادر القفص ، واستعدَّ للوثوب نحوه ..

وفجأة .. قفز (ممدوح) يلتقط أحد المقاعد ، ويلوِّح به فى وجه الفهد ، فى محاولة لإعادته إلى القفص ، وزمجر الفهد فى وحشية ، وهو يتراجع ، و (ممدوح) يحاصره بأرجل المقعد الخشبى ، وهو ينقل بصره بينه وبين الفهدين الآخرين ، اللذين بدأ الهياج ينتقل إليهما أيضًا ، حتى تراجع الفهد داخل



إلا أن (ممدوح) ضمّ قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنق خصمه العملاق ، فدفعه إلى الأمام ، نحو باب القفص المفتوح ..

القفص ، فقفز (ممدوح) يغلقه فى إحكام ، ثم زفر فى قوة ، وهو يجفّف حبّات العرق المتساقطة منه ، وقد ثارت الفهود لحرمانها من فريستها ، وازداد هياجها ..

وفى غمرة الانفعال ، نسى (ممدوح) خصمه ، الذى استلّ من طيّات ثيابه خنجرًا ، وراح يقترب منه ، لينقض عليه ، لولا أن كشّر أحد الفهود عن أنيابه ، وتراجع على نحو حادّ ، فتذكّر (ممدوح) خصمه ، والتفت إليه فى حركة حادّة ، وهوى على وجهه بنفس المقعد ، الذى كان يستخدمه لتهديد الفهد ، فأطلق الرجل الضخم حشرجة مؤلمة ، ثم سقط كالحجر ..

ووقف (ممدوح) يلتقط أنفاسه ، بعد أن واجه لتوّه أربعة وحوش كاسرة ، أقلها شراسة أولئك الثلاثة ، داخل القفص ..

ولكن إيقاع الأحداث كان سريعًا للغاية ..

لقد تناهى إلى مسامعه وقع أقدام تقترب من الحجرة ، فأسرع يفتح بابًا جانبيًا ، ويجذب الرجل إلى حجرة ملحقة ، ثم يغلق بابها خلفه ، فى نفس اللحظة التى فُتح فيها باب حجرة قفص الفهود ..

ومدّد (ممدوح) الرجل أرضًا ، ثم أصاخ السمع ، فى محاولة لسماع ما يدور داخلها ، وهو يتضرَّع إلى الله ألَّا يلحظ ذلك القادم آثار الفوضى ، التى نشبت مع الصراع ، ولا ذلك المقعد الملقى أرضًا ، والذى تحطَّمت إحدى أرجله على رأس الرجل الضخم ..

وكان القادم هو (صموئيل) ، بصحبة اثنين من رجاله ، وهم يدفعون أمامهم ذلك الخادم الصينى (سوينج) .. ولقد ألقى (صموئيل) نظرة عابرة على المكان ، دون أن يعلّق بشىء ، إذ بدا أنه يركز كل اهتمامه على الخادم الصينى ، وهو يقول له :

— أرأيت أننا لا نهزل أيها الصينى ؟.. لو لم تخبرنا بمكان الكبسولة ، فسيلقى بك رجالى إلى الفهود المتوحشة .

ولكن (سوينج) بدا متماسكًا ثابتًا ، وهو يقول :

— إننى أعرف أن الكبسولة فى حَوْزَتى أيها الكولونيل ، فلقد كنت أراقب منزل (آموس) ، بعد أن خدعنى ، واستولى عليها ، وعندما استولى المصرى على التمثال ، وأعطاه زميله ، الذى حمله بدوره إلى منزله ، تسلَّلت إلى منزل هذا الزميل ، وسرقت الكبسولة قبل لحظات من اقتحامكم

المنزل .. ولكن أسلوبك هذا لن يؤثر فىَّ ، ولن يزحزحنى عن موقفى ، فلن أبوح لكم بمكان الكبسولة ، إلَّا وفقًا لشروطى ، ولن يجبرنى أى شىء على العكس ، حتى لو وضعنى رجالك داخل القفص ، فأنا أعلم أنك لن تستفيد شيئًا بموتى .. بل ستخسر كل شىء .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، ثم أطلق (صموئيل) ضحكة عصبية ، وقال :

— حسنًا أيها الصينى الماكر .. لقد أقنعتنى .. ماذا تريد ؟

سوينج :

— خمسة ملايين دولار .. تُسلَّم لى مساء الغد ، عند الصخرة السوداء ، فى تلال (الكامور) ، ولتحضر وحدك عملية التسليم والتسلُّم .

سادت لحظة صمت أخرى ، ثم قال (صموئيل) :

— حسنًا .. إنك تقدّم شروطًا أفضل من الآخرين ، طبقًا للمنطق التجارى .. ولكنك لو لم تحضر فى الموعد ، فسأنقب عنك كل شبر من (تايلاند) ، حتى أعثر عليك ، وأطعمك لفهودى .

ابتسم (سوينج) ، قائلًا :

ــ اطمئن .. إننى لم أبذل كل هذا الجهد ، لينتهى الأمر بلا مقابل .. ولكن حَذار من الخداع ، والأساليب الملتوية والعنف ، والاعتماد على القوّة ، وإلّا فلن تحصل على الكبسولة أبدًا .

ضحك (صموئيل) ، قائلًا :

ــ يبدو أن كلينا لا يثق فى الآخر كما يجب ، فليتخلّ كل منا عن شكوكه نحو الآخر بعض الوقت ، حتى نُنهىَ هذه العملية .. وسترى أننى سأتعامل معك بكل ثقة وإخلاص .

غادرت المجموعة المكان ، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها العملاق يستعيد وعيه ، وينهض متثاقلًا ، ولكنه لم يكد يرى مسدّس (ممدوح) المصوّب إلى رأسه ، حتى تجمّد فى مكانه ، و (ممدوح) يقول :

ــ اسمعنى جيّدًا .. لم يَعُد لدىَّ وقت للعبث معك ، ولو لم تخبرنى بوسيلة الخروج من هنا سِرًّا ، فستستقر رصاصتى فى رأسك و ....

وفجأة .. انفتح الباب ، واندفع عَبْرَه اثنان من أعوان (صموئيل) ، يصوّبان إليه مدفعيهما ، وهتف أحدهما فى لهجة آمرة :

ــ ألقِ مسدّسك أرضًا ، وإلّا حوّلنا جسدك إلى مِصفاة .

لم يجد (ممدوح) أمامه مناصًا من الاستسلام ، فألقى مسدّسه أرضًا ، ورفع يديه فوق رأسه ، فى حين قال الرجل الآخر فى حزم :

ــ لقد كان الكولونيل محقًّا ، عندما طلب منّا العودة ، وتفتيش المكان جيّدًا ..

استعاد العملاق إدراكه للأمور فى تلك اللحظة ، فارتسمت الوحشية على وجهه ، وقفز من مكانه صارخًا :

ــ اللّعنة .

وَهَوَى على فكّ (ممدوح) بلكمة عنيفة ، أودعها كل حنقه وحِقْده ، فسالت الدماء من فم (ممدوح) ، وهو يترنّح على أثر لكمة خصمه ، الذى استعدّ لمعاودة الكرّة ، لولا أن ارتفع صوت صارم ، يقول :

ــ كفَى يا (جوجان) ، فليست هذه هى الميتة التى أريدها للمقدم (ممدوح) ، فأنا أُعِدّ له ميتة أخرى ..

كان صاحب الصوت هو الكولونيل (صموئيل) ، الذى وقف داخل الحجرة ، يبتسم فى ظفر ، ثم اختار مقعدًا ، وجلس فوقه قائلًا :

ــ هيًا يا رجال ، دَعُونا نرى عرضًا جيّدًا .

واتسعت ابتسامته ، وبرقت عيناه فى وحشيّة ، وهو يستطرد :

ــ ألقوه فى قفص الفهود ..

* * *

١٣ — بؤرة الجحيم ..

دفع الرجلان (ممدوح) أمامهما ، بماسورتى مدفعيهما ، واتسعت ابتسامة العملاق ، وهو يقف أمام القفص ، استعدادًا لفتحه ، وإلقاء (ممدوح) داخله ..

ووجد (ممدوح) نفسه فى مأزق حرج حقيقى ، يحتِّم عليه إيجاد مخرج جيِّد ، وبسرعة مناسبة .. فتذكَّر تلك الكبسولة ، التى ثبتها رجال المعمل الفنى حول أحد ضروسه ، فدفعها بطرف لسانه ، وانتزعها من مكانها ، وهو يتثاقل فى خطواته ، متظاهرًا بالخوف ، و (صموئيل) يجلس واضعًا إحدى ساقيه فوق الآخر ، مراقبًا المشهد فى استمتاع ، دون أن ينتبه إلى أن (ممدوح) قد قذف الكبسولة بفمه ، لتلتصق بأحد قضبان القفص ..

وفجأة .. انفجرت الكبسولة فى قوَّة ، والتوت قضبان القفص ، ولقى أحد الفهود مصرعه ، وكذلك أصيب العملاق ، وأخذ يصرخ فى رُعب ، فى حين شلت المفاجأة

الآخرين ، وجعلتهم يتسمَّرون فى رُعب ، فى حين أصيب الفهدان بهياج شديد ، فقفزا عَبْرَ فجوة القفص ، وانقضَّ أحدهما على أحد الرجلين المسلَّحيْن ، وتفادى (ممدوح) وثبة الآخر ، فهاجم الرجل الثانى ، أمَّا (صموئيل) ، فقد أسرع يغادر الحجرة ، وقد أصابه الرُّعب ، فاختطف (ممدوح) أحد مدفعى الرجلين ، واندفع خلفه ، فاعترضه بعض أعوان (صموئيل) ، إلا أن (ممدوح) عاجلهم بطلقات النيران ، وراحَ يشقّ طريقه إلى تلك الحجرة ، التى تسلَّل منها إلى المنزل .. وما أن بلغها حتى قفز من نافذتها إلى شجرة قريبة ، ومنها إلى الأرض ، حيث ترك حقيبته ، فالتقطها وراحَ يَعْدُو نحو السور ، ولكن ثلاثة من (الأسترتانيين) اعترضوا طريقه ، فأطلق النار على أحدهم ، وأرداه قتيلًا ، وقبل أن يطلق الآخران رصاصاتهما ، تجمَّدت أطرافهما ذهولًا ، وهما يحدِّقان فى (ممدوح) ، الذى قفز عاليًا ، بفضل الحذاء الإسفنجى ، متخطيًا سور المنزل ، ثم راحَ يعْدو نحو الرَّبْوَة العالية ، حيث تنتظره (تيسى) ، وقد أدارت محرِّك السيَّارة ، ولم يكد يقفز داخلها ، حتى انطلقت على الفور ..

وربح (ممدوح) هذه الجَوْلة ..

* * *

توقفت سيارة زرقاء فارهة ، بالقرب من تلك الصخرة السوداء ، عند تلال (الكامور) ، وهبط منها الكولونيل (صموئيل) ، وهو يحمل حقيبة رمادية كبيرة ، وراح ينقل بصره ما بين ساعته ، والشمس التى تميل إلى الغروب ، وهو يزداد عصبية مع مرور الوقت ، حتى ارتفع صوت يقول :

ــ فى موعدك تمامًا يا كولونيل .

التفت (صموئيل) إلى مصدر الصوت ، ورأى (سوينج) يخرج من خلف بعض الصخور القريبة ، وأحنقه أنه يأتى خالى الوفاض ، فهتف فى غضب :

ــ أين الكبسولة ؟

سوينج :

ــ على مقربة من هنا ، سأعد النقود أولًا .

لوح (صموئيل) بالحقيبة ، قائلًا :

ــ ها هى ذى النقود .. خمسة ملايين دولار كاملة ، كما طلبت .

سوينج :

ــ حسنًا ألق بها إلىّ .

كظم (صموئيل) غيظه فى صعوبة ، وهو يلقى الحقيبة

نحو (سوينج) ، الذى التقطها فى هدوء ، وراحَ يعد النقود فى تأنٍّ ، وانتظر (صموئيل) فى حَنَق ، حتى انتهى الصينى ، فسأله فى عصبيّة :

ــ والآن أين الكبسولة ؟

سوينج :

ــ إنها وراء الصخرة ، خلفى .

تنفس (صموئيل) الصعداء ، وهتف :

ــ حسنًا يا بروفسير (أبراهام) .. تقدّم .

ظهر البروفسير (أبراهام) فى تلك اللحظة ، من خلف الصخرة السوداء ، بصحبة اثنين من الرجال المسلّحين ، واتجه الثلاثة نحو (سوينج) ، الذى هتف فى غضب :

ــ هذا يخالف اتفاقنا يا كولونيل .. كان ينبغى أن تأتى بمفردك .

ابتسم (صموئيل) فى استخفاف ، وقال فى شماتة ، وقد بدأ العشرات من (الأسترتانيين) يظهرون من خلف التلال ، حاملين أسلحتهم :

ــ يالك من غبىّ !.. أتصوّرت حقًّا أننى سأضحّى بخمسة ملايين دولار ، من أجل وغد مثلك .

ثم أشار إلى رجاله ، قائلًا :

ـ اقبضوا عليه .

ولكن (سوينج) انتزع من أسفل ردائه مسدسًا ، وأطلقه نحو أقرب رجل إليه ، فأرداه قتيلًا ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لن أسمح بخداعي مرة أخرى .. لا ..

واندفع نحو الصخرة ، التى يختفى خلفها الكبسولة ، التى انهمك البروفسير (أبراهام) فى فحصها ، فأطلق (الأسترتانيون) عليه الرصاص فى غزارة ، ولكنه واصل اندفاعه فى إصرار ، وأطلق النيران على العالم (الأسترتانى) صارخًا :

ـ ستدفعون الثمن .. ستدفعون الثمن .

وعلى الرغم من أن جسمه كان ينزف الدماء فى غزارة ، من عشرات الثقوب ، التى خلفتها فيه النيران ، إلّا أنه ألقى حقيبة الدولارات ، واختطف الكبسولة ، ونزع منها غطاءها ، وترك الدُّخان الأزرق ينساب نحو (الأسترتانيين) .. ثم لم يلبث أن سقط قتيلًا ، على أثر عشرات الرصاصات ، التى انطلقت نحوه ، وسقطت منه الكبسولة فوق الصخرة ، وهى تطلق دُخان الموت والدَّمار ..

ولم يكد (صموئيل) يرى الدُّخان ، وهو يندفع نحوه ونحو رجاله ، حتى اندفع نحو سيارته ، صارخًا :

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا سريعًا .. سيبيد ذلك الدُّخان اللعين المنطقة كلها .

ولكن تحذيره جاء متأخرًا ، فلم يكد يدير محرك سيارته ، حتى راحَ المكان كله ينهار من حوله ، وراحت الأرض تتشقق تحت أقدام رجاله ، وهم يهرولون فى كل الاتجاهات ، فى محاولة للفرار من بؤرة الجحيم ، التى انفتحت تحت أقدامهم ، دون أن يملكوا شيئًا حيالها .

وأطلق (صموئيل) صرخة مدوية ، عندما راحت سيارته تغوص فى باطن الأرض ، وحاول أن يفتح بابها ، ويلقى نفسه خارجها ، إلّا أنه راح يغوص فيها ، وكأنما الأرض تلتهم كل ما فوقها ، دون أن تُبقى شيئًا ..

وفى نفس اللحظة ، كانت هليوكوبتر تحلّق فوق المكان ، وقائدها يهتف فى دهشة ، وهو يتطلّع إلى ما يدور تحته :

ـ مستحيل !!.. المنطقة تبدو وكأنها تشهد نهاية العالم .

أجابه (ممدوح) ، الذى يجلس فى المقعد الخلفى مع (تيسى) :

— أخشى أنه من المحتمل أن يكون ذلك واقعًا للأسف .

غمغم رجل ثالث ، بدا وكأنه يشغل أحد المناصب الهامة ، فى شرطة (تايلاند) ، وهو يتطلّع إلى أسفل فى هلع :

— وماذا نفعل ؟

ممدوح :

— استدع كل فرق ووحدات الإنقاذ فى الدّوْلة ، للعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، على أن يتم تزويدهم بالثياب الواقية من الإشعاعات والغازات .

أسرع رجل الشرطة يتصل بوحدات الإنقاذ ، تنفيذًا لاقتراح (ممدوح) ، فى حين راح هذا الأخير يرتدى حُلّته الواقية ، ويستعد للهبوط إلى أسفل ، فهتفت (تيسى) فى جزع :

— ماذا ستفعل ؟

ممدوح :

— لابدّ من إيقاف اندفاع ذلك الدُّخان من الكبسولة ، وإلّا زاد حجم الكارثة .

تيسى :

— ولكن هذا أشبه بالانتحار .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول مطمئنًا :

— ستحمينى حُلّتى هذه .

وطلب من الطيار أن يحلّق فوق المنطقة ، فغمغم هذا الأخير فى قلق :

— أأنت واثق من أن ذلك لن يُلحق بنا ضررًا ؟

ممدوح :

— لا تقلق .. الرِّياح تحمل الدُّخان إلى الأمام ، لا إلى أعلى .

حلّق قائد الهليوكوبتر فوق الصخرة ، التى استقرّت فوقها الكبسولة ، وراح (ممدوح) يهبط فى سُلّم الهليوكوبتر ، مرتديًا حُلّته الواقية ، ولم تكد قدماه تستقران فوق الصخرة ، حتى قفز يلتقط الكبسولة ، ويسد فتحتها ، ثم حملها وعاد يصعد سُلّم الحبال إلى الهليوكوبتر .. ولم يكد يلقى جسده داخلها ، حتى رفع غطاء رأسه ، وتنهّد قائلًا :

— نجحنا فى تفادى الكارثة .

وهتف الطيار بدوْره :

— ها هى ذى طائرات الإنقاذ تقترب .. لقد نجحنا .

تنهّدت (تيسى) فى ارتياح ، وهى تقول :

— نعم .. لقد نجحنا .

هتف قائد الهليوكوبتر :

— ينبغى أن ننقل هذا الشىء فورًا إلى مركز الأبحاث و ....

بتر عبارته بغتة ، عندما التصقت فوّهة مسدّس برأسه من الخلف ، وسمع صوت (تيسى) تقول فى حسم :

— معذرة يا سيّدى .. لن يذهب هذا الشىء إلى أىّ مكان ..

وكانت تعْنى ما تقول ..

تعْنيه تمامًا ..

* * *



١٤ ـ الدمار الأخير ..

تجمّد قائد الهليوكوبتر فى ذهول ، وهتف (ممدوح) مستنكرًا :

— ماذا تفعلين يا (تيسى) ؟.. هذا يعرضك للمساءلة ..

هتفت فى صرامة :

— لقد أخبرتك من قبل أننى لن أسمح لأحد باستغلال هذا الشىء ، كما عاهدت أبى ، حتى لو كان هذا الأحد هو أنت .

ثم التفتت إلى الطيّار ، مستطردة فى حزم :

— ستنطلق بهذه الطائرة إلى الوجهة التى أحدّدها أنا يا سيّدى

غمغم قائد الهليوكوبتر ، محاولًا التخفيف من توتّرها :

— إننى أقدّر مشاعرك يا آنستى ، ولكننا سنضع هذه الكبسولة بين أيدى علماء متخصصين ، وليس رجال عصابات ، أو منظمات عسكريّة ، أو إجراميّة ، أو حتى أجهزة مخابرات .



كان (ممدوح) فى هذه اللحظة يحدّق فى الكبسولة ، التى راحت تتوهّج ، وراحت جدرانها الشفافة تميل إلى الاحمرار ..

قالت بمزيد من الإصرار :

ــ لن يختلف الأمر كثيرًا ، فإن عاجلًا أو آجلًا ، فستنتقل تلك الكبسولة بدخانها المدمّر إلى أيدى العسكريّين ، وتتحوّل إلى سلاح مدمّر رهيب ، بعد أن يقرّر العلماء صلاحيتها ، ووسائل استخدامها .. لا أيها الضابط .. سننطلق إلى جبل (أوبون) حيث ترقد رفات أبى .

هتف الطيار :

ــ ولكن الوقود لن يكفى هذه الرحلة الطويلة .

تيسى :

ــ حاول أن تجعله يكفى .

كان (ممدوح) فى هذه اللحظة يحدّق فى الكبسولة ، التى راحت تتوهّج ، وراحت جدرانها الشفافة تميل إلى الاحمرار ، فهتف فى انزعاج :

ــ الكبسولة على وشك الانفجار .

تشبّثت (تيسى) بمسدّسها ، وهتفت دون أن تحوّل بصرها عن قائد الطائرة :

ــ لن تفلح خدعتك فى منعى من تحقيق هدفى .

هتف (ممدوح) :

ـــ ولكننا معرضون للخطر .
صاحت فى حِدّة :.
ـــ مهما كان الأمر ، ستذهب بنا الطائرة إلى (أوبون) .
لم يجد (ممدوح) أمامه بُدًا من التصرُّف ، فقال فى حزم :
ـــ إنك تضطريننى لذلك يا (تيسى) .. معذرة .
ثم أمسك معصمها فى قوة ، ورفع يدها إلى أعلى ، فانطلقت رصاصتها إلى سقف الهليوكوبتر ، ثم لوى معصمها فى قوّة ، فسقط مسدّسها فوق المقعد ..
وانفجرت (تيسى) باكية لفشلها ، فى حين التقط (ممدوح) المسدّس ، قائلًا :
ـــ لم يكن أمامى سوى ذلك .. انظرى إلى الكبسولة ، وستجدين أننى لم أكذب .
تطلّعت إلى الكبسولة المتوهّجة فى هَلَع ، فى حين قال (ممدوح) للطيّار فى لهجة آمرة :
ـــ اختر مكانًا صالحًا للهبوط بأسرع ما يمكنك ، وليكن مكانًا غير مأهول .
قال الطيار ، الذى كان قد بدأ هبوطه بالفعل :
ـــ أظننا لا نملك الخيار تمامًا ، فلقد أصابت الرصاصة مروحة الهليوكوبتر ، ونحن مضطرون للهبوط .

استقرّت الهليوكوبتر فى أرض جرداء ، بعيدًا عن حقول الذُّرة التى تمتد أمامهم ، وقفز خارجها ، وراح يعدو مبتعدًا ، فى حين أصيبت قدم (تيسى) ، وهى تحاول القفز ، فحملها (ممدوح) ، وأسرع يعدو بها مبتعدًا ، وسط حقول الذُّرة الخضراء ..

وبعد أن ابتعدوا بمسافة كافية ، دوّى خلفهم انفجار يصمُّ الآذان ، ومن بين أعواد الذُّرة الخضراء ، رأوا كتلة من النيران ترتفع إلى عنان السماء ، من موقع الطائرة ، وتدافع المزارعون التايلانديُّون يتطلّعون إلى ما حدث فى هَلع ، وهم يتساءلون فى ذُعر ودهشة ، والتفت (ممدوح) إلى (تيسى) ، وأزاح خصلة تهدّلت على جبينها ، وهو يبتسم مغمغمًا :

ـــ الآن يمكنك الاطمئنان ، فلم يعد هذا الشىء يهدّد أحدًا .. لقد لقيت قاعدة الصاروخ مصير الصاروخ نفسه ، وأظن أن الغلاف الخارجى للصاروخ لم يحتمل ضغط الدُّخان ، مثلما احتمله الغلاف الداخلى له ، وأن ذلك الدُّخان لم يكن سلاحًا مُدمّرًا ، أظنه كان نوعًا من الوقود ، لدفع ذلك الصاروخ عَبْر الفضاء الكونىّ ..

ابتسمت (تيسى) ، وألقت رأسها على كتفه ، وهى تهتف فى حنان جارف ، وارتياح شديد :

ــ لقد كنت حمقاء بالفعل .. كم أشكرك ، وأدين لك ، وكم ....

قاطعها مبتسمًا ، وهو يضع أنامله على شفتيها :

ــ وأنا أيضًا ..

وامتزجت ابتسامتهما .

* * *

استغرق (ممدوح) فى قراءة جريدة تايلاندية ، فى مطار (بانكوك) ، وهو ينتظر موعد تلك الطائرة ، التى ستقلع إلى (القاهرة) ، حتى لمح شخصًا يتوقف أمامه ، فرفع عينيه عن الجريدة ، ورأى (تيسى) ، التى تقول فى عتاب :

ــ أأردت أن ترحل دون توديعى ؟.. أتعلم أننى بذلت جهدًا هائلًا لألحق بك هنا .

نهض قائلًا :

ــ لست أحب لحظات الوداع .

هتفت فى عاطفة :

ــ ولكنك تعلم أننى ....

قاطعها قائلًا :

ــ أعلم ، وربما كنت أبادلك الشعور نفسه ، ولكننى لا أحب لك أن تربطى مصيرك بمصير شخص مثلى ، فأنا انتحارىّ ، وهب حياته لخدمة أهداف بلاده ، أيًا ما كانت طبيعتها ، فهل ترضين بمصاحبة شخص يصاحب الموت فى كل خطواته ؟

هتفت فى انفعال :

ــ إننى مستعدّة لـ ....

عاد يقاطعها فى حزم :

ــ أنت فتاة جميلة ، فى مقتبل العمر ، وستجدين حظًا أوفر ، مع شخص آخر ، يميل إلى الحياة الأسرية المستقرّة .

ثم انحنى يقبّلها على جبينها فى حنان ، وابتسم وهو يلوّح لها بكفه ، ثم يسرع للّحاق بطائرته ، ولم تملك وهى تلوّح له بيدها ، ودموعها تنهمر ، إلّا أن تهتف من أعمق أعماق قلبها :

ــ لن أنساك يا (ممدوح) .. لن أنساك أبدًا ..

وكانت صادقة ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



أ . شريف شوق

دخان الدمار

ولم يلبث أن سقط قتيلًا ، إثر عشرات الرصاصات ، التى انطلقت نحوه ، وسقطت منه الكبسولة فوق الصخرة ، وراحت تطلق دُخان الموت والدمار ..

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

الحقيبة الزرقاء

الثمن فى
م

بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم